

مجلة المجمع العلمي العربي

آذار ونيسان سنة ١٩٤٦ شهر ربيع الثاني وجمادى الأولى سنة ١٣٦٥

(١) القول في انكالنا

كان عرب الجاهلية المثل الأعلى في الاعتماد على النفس ، اشتهروا بمغامراتهم ورحلاتهم لغرض التجارة ، وكانوا اذا شئت عليهم مهاوهم وأفحطت أرضهم تنهت فيهم غريزة حفظ النوع فلا يروفت غير الاعتداء على جيرانهم ، يستلبون منهم ما يسد جوعتهم .

ولما جاء الاسلام وبطل الغزو والتعادي أصبحوا يتكلمون على خالقهم كما كانوا يتكلمون على أنفسهم ، وعوضوا عن النصوص بما أتاهم به الحدث الجديد من المغام ، وكانوا اذا فتحوا بلداً هبوا لاستغفار غوزره ونجده ، فشادوا المدن ، وأحيوا الموات ، وغفروا الأنهار ، وأقاموا السدود ، وعمرروا الرياض والغياض ، وبفرض العطاء أي الرواتب لأشرافهم ومن تبعهم ، وبتحريم الربا والبيع الفاسدة ، وزعت الثروة فزادوا توسعاً في معاشهم أكثر من يوم كانوا فيه ولا قوة تحميهم في السفر والحضر .

شرع العرب موجز وسريع التنفيذ ، وتدابيرهم معقولة مقبولة حتى في الجاهلية ، وكانوا اذا صح عزمهم على أمر فيه صلاح معادهم أو معاشهم تقيلى حزمهم وجدتم ، وهذه الصفات تقوى وتضعف فيهم بحسب العصور والأصا . ومنذ فجر الاسلام أنشأوا يبنون جوامعهم ومساجدهم بأنفسهم ، وينصبون لها الخطباء والأئمة ، ويقومون

(١) من كتابنا الجديد « أقوالنا وأفعالنا » وهو الى الآن مخطوطة .

يشؤونها لا يبرزأون بيت المال شيئاً ، كانوا يعرفون علمهم وتقييم وداهيتهم كما عرفوا في جاهليتهم شاعرهم وخطيبهم وكاهنهم ، وما كان العارف فيهم — وعلى كل واحد زاجر من نفسه — يتصدى لما ليس له بأهل ، فلا يقضي ولا يقني ولا يعط ويخطب الا اذا شهد له الثقات بالفضل حتى لا يضل به المهتدي ويزل المسترشد .

ولما نزع العرب في العصور التالية لاقامة رباطاتهم ومدارسهم ودور مرضاهم وضيافتهم وسائر مصانعهم حبسوا عليها من الأحباس ما يقوم بها على الأيام ، طيبة نفوسهم بما بذلوا ، وإلى هذا كانوا يعادون حكوماتهم فيما بقي المزابطين من مؤنة وخيل وسلاح ، لعلمهم بأن عزهم مناط عزة حكومتهم ، وسلامة أعضائهم وعروضهم في دفع أذى أعدائهم عن ديارهم ، وكان يندر فيهم من من يجحد عن سنان الفضيلة ، يرون الأمانة أمراً طبيعياً ، والصدق فرض عين ، والبعد عن المأثم نبلاً ، ومروءة ، ولذلك خلا بعض أمصارهم في القرن الأول من السجون لندرة الجناة والمجرمين .

وقلّت ثروة العرب ، وضعفت مقومات حياتهم ، وغدا وعاظهم وحكّؤم من الغريق الذي عزّ عليه تفصيل رزقه من أبواب المعاش المعروفة ، فلجأ إلى دعوى خدمة الدين يبيع بضاعته من الراعي والرعية ، وأصبح قضائهم يصانعون في قضائهم ، ويصادرون كما يصادر لصوص العمال ، فزال جلال القضاء لعدم الثقة بالأمناء عليه ، وما وصف الامام أبو يوسف في رسالته إلى الرشيد قضاة عصره الا وصف عارف بما هنالك اذ قال : « وما أظن كثيراً من القضاة والله أعلم بيالي بما صنع وكيفما عمل ولا بيالي أكثر من معهم أن يبقروا اليتيم ويهلكوا الوارث » ثم أخذ القضاة يبتاعون مناصبهم ممن كانوا يبدعون ملوكاً فيجمعون أموال السحت وناهيك بها من سبّة .

ومع أن الفردية تغلب على العربي أكثر من الجماعية ، كان من العرب من يشتركون في مسائل تجارية كبرى ، ويقسمون الأرباح بينهم ، ويرضى كل واحد بما قسم له ، وقل أن يرجعوا في اختلاف يندشّب بينهم إلى صاحب السلطان ،

يَقْضُونَ خلافاتهم بمعرفة أهل الرأي والتجربة منهم ، وإلى اليوم نرى في نجد مع
بعدها عن العمران شركات تجارية جمعت رؤوس أموالها من الأغنياء والفقراء واشترك
فيها الأقوياء والضعفاء ، على مثال شركات الغربيين ، وفيها الأمانة ماثلة كثيراً .
كانت أعمال الأفراد في معظم العصور أكثر نفعاً وأوفر عائداً مما تتولاه
الدول ، ذلك لأن عمل الفرد تظهر فيه المسؤولية فيحتاج إلى التدقيق ، وفي
عمل الدولة تختفي التبعات ، ويزيد الإسراف في النفقات ، ويتهاون بالجزئيات
وأحياناً بالكليات ، ولذا رأينا السكك الحديدية والمعامل والمدارس وكل ما تديره
الحكومات في الغرب والشرق من المشاريع أقل ربحاً وأكثر نفقة مما يديره الأهليون .
ومتى ضعفت ثقة الناس بعضهم ببعض ، تفتتح للحكومات منافذ التدخل في
أمر الرعية ، فستتبع بعض طبقاتهم على ما تهوى ، ويقوى بذلك سلطانها ، وتتشعب
فروع أعمالها ، وتتضائل سلطة الفرد ، ويفنى في المجموع . وإذا قلّ اعتماد الناس
بعضهم على بعض يَكِينُونَ إلى ولائهم أمورهم ، ويطلبون إليها العناية بما ليس
من واجبها معاناته ، ويطلبونها أن تتولى منهم ما يتولاه الوصي من أمر اليتامى
جعلوا تحت وصايته .

كلما عوّل الناس على أنفسهم وتركوا الحكومات وشأنها اغتبنوا وسعدوا ،
وقد يكون غير المسلمين من سكان هذا الشرق القريب أهنأ عيشاً من الكثرة
الفائرة ، ومنهم من لم يتكوا على الدولة في كل شيء ، يرحلون ويغامرون
ويفتنون وينعمون ، وشهدنا من مارسوا حرفهم من المحامين والأطباء والمهندسين ،
مستقلين عن الحكومات ، أوفر غنى وهناء ممن تقلدوا القضاء ومسائل الصحة
والعائر ، واتكوا على الدولة مكفين بالرواتب المحددة . نعم كلما عظمت سلطة
الدولة ينشأ في أبنائها الاتكال ويخفى الاستقلال ، وتوشك أن تظهر عليها
أعراض الانحلال ، وإن كثرت سكانها واتسعت رقعة بلدانها .

القوة للرعية في الشعوب الانكلاوسكسونية وللدولة في الشعوب اللاتينية ، وأثر
التربيتين الاستقلالية والانكالية محسوس في أرض الفريقين وفي الأقطار التي

استعمروها . قال أحد وزراء الانكليز : ننا لا أقول ان الحكومات أبداً بشوم على الشعوب . بل أقول وبلى لأمة تترك المجال للحكومة لتنظيم لها اليوم بعد اليوم من الطفولة الى الشيخوخة حركة أفكارها وما ينهض بها الى العلاء ، وقالت إحدى المجلات الانكليزية مما خصت به أرضنا من الميزات ميزة تعد في مفاخرنا ، وهي اننا ندير أمورنا بأنفسنا بدون تدخل الدولة . ومن أعظم البراهين على ما يعمل الاستقلال في الفكر والارادة ، وما ينجم عن الاتكال من الفشل وضعف ، ما حدث في تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا ، فان جماعات من الانكليز غضبت عليهم ديارهم لشقاوتهم فنفتهم ، أو غضبوا هم على الدولة لاضطهادهم في مذهبهم ، أو تعذر العيش عليهم في مساقط رؤوسهم فنزلوا تلك الأقطار البعيدة ، وما عثموا أن أسسوا معتمدين على انفسهم بمالك عظيمة جاءت في بعض مظاهرها أرقى من مواطنهم الأصلية .

وهذه طائفة المورمون في الولايات المتحدة ، وهي تقول بتعدد الزوجات الى ما لا حد له ، قد حاربتها حكومة تلك الديار في أول ظهورها حرب إبادة ، فخلا بقية السيوف من أبناءها الى صقع قاحل ، فما هي إلا اعوام قليلة حتى عمروه فأصبح كسائر الولايات المتحدة بمدنيتهم وصناعاتهم ورخاؤهم ، ولو كان المورمون شعباً لاتينياً أو سامياً لانقرضوا لما لقوا من شدة ، أو لعاشوا عيش تنذبت في انتظار نجدة من دولة ، أو منحة من جمعية ، أو نفحة من غني جواد .

ستون الف جندي وثلاثة آلاف موظف انكليزي اخضعوا بفضل اخلاقهم لسلطات بريطانيا العظمى نحو اربعمائة مليون من الهنود يساوتهم بذكائهم ، واستولى الاسبان على الولايات اللاتينية التي صارت بعد جمهوريات اميركا الجنوبية وما عهد فيها الا الفوضى ، والسبب في ذلك اخلاق الفاتحين . وحكت اسبانيا جزيرة كوبا ثلاثمائة سنة فما كان فيها الا الشقاء والظلم فلما آل حكمها الى الولايات المتحدة أصبحت في ثلاثين سنة من اسعد الممالك .

يطلب الشرقي كل شيء من حكومته ، ولذلك يقل ابداعه ، ولا يطرد سير

حياته ، ولا تنمو ثروته ، ولا تدوم نعمته . الشرقي عبء ثقيل على ابيه وأمه ، وعلى أخيه وأخته ، وعلى مورثه وأمرته ، وعلى من يعتقد فيهم القدرة من أهل حيه وبلده ودولته ، وعلى من يحبه ويعطف عليه ، وفيه شيء من النقص لا يجد مثله في صاحب التربية المستقلة وهذا لا ينتظر ارث ابيه ولا أمه ولا مورثه أياً كان ، ولا البائنة التي تأتيها زوجها ، ولا نصيبها من إرث أبيها ، يجمع ثروته بكده وجده ، ولا بتوقع مجيئها عفواً صفواً .

روى اصحاب الاخبار ان احد ابناء رؤساء جمهورية الولايات المتحدة شوهد غداة انتخاب والده للرياسة مبكراً الى معمله على عادته ، فقيل له : كان عليك ان تجعل من هذا اليوم عيداً لك ، وتنقطع عن العمل ، وقد غدا أبوك رئيس الامة فقال الرئيس أبي وأنا هنا عامل اشتغل لمستقبلي .

وهذه مصر ولا نمثل بغيرها هل تم لها الاستقلال في التربية مقدمة الاستقلال السيامي ام هو الاتكال لأمي . غيره ؟ الحق ان التربية الاتكالية بادية في مصر والاستقلال الشخصي كهلل الشك لا يكاد يرى . كأن التربية اللاتينية التي لقيتها مصر لأول نهضتها قد اضرعتها فلم تسلم الى اليوم من تأثيراتها على ما عولجت به من طرق حديثة في التربية . ولو كان هناك خلق استقلالي ماشهدنا القوم يتهافون على التوظف في الحكومة هذا التهاف المبكي .

ان أمة يتهاك المتعلمون من بنينا ليجعلوا منهم آلات تتحرك بحركات غيرهم ، ويعيشون كالحلمة الطفيلية بامتصاص خزانة الدولة ، والاعمال الحرة الراجعة كثيرة أمامهم بتركونها للنازل عليهم هي امة محكوم عليها بأسوأ ما يحكم به علي مصاب بمرض عضال ، وأي مرض افك في النفوس من مرض الاتكال الذي يقضي على فضائل جمة في الانسان ، ومنها عزة النفس والاقدام .

يقول الدكتور حافظ عفيفي باشا في كتابه على هامش السياسة : أما هذا التعليم الذي يحول جميع شبان البلاد الى موظفين ، يعملون دائماً ساعات محددة في النهار تحت اشراف رؤسائهم ، وينتاولون أجراً محدوداً يزيد في فترات معينة

بقدر معلوم ، ويمضون حياتهم على هذا النظام الميكانيكي الذي لا أثر فيه للمجهود الشخصي ، ولا يفتح باباً للمجازفة والمغامرة أو تحمل التبعات ، فهو تعليم محدود الغرض لا يفيد الا في تخريج العدد اللازم من الشبان للملء وظائف الحكومة ، ولكنه مضر من جهات أخرى لأنه يفسد الغرائز الطبيعية في جميع الشبان الذين يزيدون عن هذه الحاجة .

وأنا اعتقد ان هذا التعليم يفسد غرائز المستخدمين وغير المستخدمين من الشبان ، ويقتل فيهم روح الاستقلال ، فيصبح الاتكال فيهم طبيعة ثانية ، وقد شاهدت اذ كياء أتموا دراساتهم الثانوية او العالية ورجعت عليهم بعد سنين وقد اخلهم استخدام فصاروا الى خنوع ومسكنة ، واستولى عليهم القنوط والنشاؤم ، وامسوا لا يفكرون إلا في تخطي الدرجات والحصول على العلاوات . قال لي صديق أنه كان في بعض العشايا في مقهى سان استيفانو بالاسكندرية ، فجاءه الغلام الرومي يقول له : ياسيدي الدكتور اجلس هنا فانه مكان ارواح لنفسك ، وأشار الى مكان آخر لا تضربه الشمس ، فتعجب صاحبي من مناداة غلام المقهى له مناداة من يعرفه ، فسأله وهل عرفتني من قبل ؟ فقال له : وكيف لا أعرفك وانت الذي خدمت مصر بما املته عليك وطنيتك وكنت كيت وذبت . ثم اذا انا لم اعرفك فمن الواجب ان يعرفك ؟ أنا ياسيدي خريج مدرسة التجارة العليا في اثبنة ، وتساءلي لم امتن هذه المهنة فأجيبك لانني اتربح منها وأنا في اول العمر أكثر مما اربح من غيرها . ولما روى له محدثي هذا وهو يعجب من حال الخادم قلت له : لامتعجب ياخي فان القوم من اقدر الام على الكسب ولو أحرز احد مواطنيك شهادة من مدرسة التجارة العليا ما كان هدفه الا ان يتقلد وظيفة صغيرة في المدرسة التي تخرج باساتذتها ، أو ان يعين في احدى دواوين الحكومة ، أو يقنع بشيء يتقنه أكثر منه من لا يحمل مثل شهادته ، أو يبقى متعطلاً خاملاً حتى يهيباً له رزق حين من عمل يعتقد هو انه شريف ، وهذا هو الفرق بين تعليمنا وتعليمهم

وتربيتنا وتربيتهم ، فلاعجب والأمر على ما ذكر ان يترك الواحد منكم عشرات
الالوف من الدنانير لاولاده فينفقونها في امرع ما يمكن ، ويموت الرومي موسراً
وكان في بدء امره فقيراً معسراً .

كثيراً ما كنت اسأل بعض الآباء عن اولادهم وما اختاروا لهم أو ما اختاروا
هم لأنفسهم من مسالك لتحصيل رزقهم ، فكان معظمهم في جانب الاتكاليين
لا الاستقلاليين ، أي انهم يؤثرون الاعمال الهينة المضمونة ، ولا ترتفع
بهم همهم الى بذل النشاط اللازم أول دخولهم معترك العالم ، ولو انك قرأت
باب الوفيات في صحيفة يومية مصرية تذكر اسم المتوفى كما تبلغها أسرة الفقيد
مشفوعاً باسماء انسابه واولاده ووظائفهم خليل اليك ان كل متعلم في هذا القطر
موظف ، وكل مشهور ليس في ذوي قرباه إلا خدمة حكومة غالباً ، وقد
يرزق الرجل بضعة بنين فلا يكون فيهم إلا عامل في الحكومة أو أخ له
يستعد في المدارس ليقفز الى الدواوين . وأخذ البنات في العهد الأخير يقتدين
في هذا الشأن بالبنين . ولا يسع من يشهد هذا إلا ان بأسف للذكاء يثلم
حده فيما تقل فائدته ، والمواهب تضيع على غير طائل ، في قطر حوى جميع أسباب
الراحة ، ولا ينعم فيه على الاكثر إلا المستخدمون أو من خلف لهم أهلهم
الأطيان والعقارات والاموال المجموعة في المصارف ، وفيه كل شروط الغنى
ولا يغني فيه إلا الغريب او من يتصل بالحكومة بسبب .

ما عهدت أمة كالأمة المصرية تنفق معظم جبايتها على ترفيه موظفيها ، وهم
فائضون عن حاجتها بكفيتها نصفهم لو تدبرت ، ولو لم يكن الغرام بالتوظيف
مما عم الطبقات المستنيرة لوجهت الدولة شعبها وجهة اخرى على حين نرى اكثر
ما تنصرف اليه همه من يأتون الى الحكم تعيين اعظم عدد ممكن في الادارة
من حزبهم ، تخلق لهم اعمالاً ترضيهم بها ، ولو كانوا غير صالحين للاشغال
ويختلف نواب الامة الى ابواب الوزارات يشفعون في توظيف انشاء افاليهم
وادخال السرور على ذويهم بالعمل على ترقيةهم وترفيهم . وهل بعد هذا

برهان على انتشار الاتكال في مصر اصدق من هذا المثال ؟ ولو كان للتربية الاستقلالية السلطان الاكبر على نفوس المصريين لرأبنا من تضيق بهم اسباب العيش يهاجرون الى بلد سحيق لكسب رزقهم كالشاميين والحضارمة تحلو لهم الهجرة ولو الى القطب الشمالي وخط الاستواء .

تمركزت كل قوة في وادي النيل بالحكومة ، فربطت رعاياها برباط أضعف فيهم حرية التفكير الشخصي والعمل المستقل ، وأصبح المصري على الأيام غريباً في أخلاقه ، لا يرى الشرف الا ما جاء من طريق الحكومة ، ولا يسعد في رأيه الا من أسعده الحكومة ، وعهدنا بالمدارس المصرية تخرج الالوف من الطلاب ، وما عهدنا انه انصرف منهم الى الاعمال الحرة الا من لم تكفر شهادتهم للاستخدام بمراتب مقبولة ، والباقي وهم الصفوة توسد اليهم اعمال أصيبت بالاشباع والتضخم لكثرة ما ينال عليها من الطالبين ، فكان المدارس في القطر المصري أنشئت لتفريق مستخدمين ، والراسب في فحوصها أو من لم يتمكن من اتمام دراسته لسبب من الاسباب تسوقه الحال الى اتحال مذهب من مذاهب المعاش ، يعمل فيه متكارهاً وبكون وسطاً او دون الوسط ، ولو نزع القائلون بالامر في مصر ايديهم من معانة رعاياهم في كل شي ، وتركوا الوطني والغريب يتنافسان برأسيهما في ميدان الأعمال ، لشهدت الدخيل يلقي بالأصيل جانباً فينجلى للبصير أنشد الفرق محسوساً بين تربية وتربية .

وليس بعجيب بعد هذا ان يصبح معظم ماتم من المشاريع الحميدة في مصر من صنع الحكومة قام بايدي رجالها ، وكف اضعاف مايساوي لانه عمل حكومي . ولو قدر ان تحتل حكومة مصر عن معانة بعض الشركات الوطنية ، لأصابها فتور في حركتها ، ذلك لان السكان ما اعتادوا ان يمشوا بدون دليل ، ولا غنية لهم عن يمين عليهم من قريب او من بعيد .

وأصدق شاهد على هذا ان نتجلى للحكومة الجمعيتان اللتان قامتا احسن قيام بانشاء الجامعة القديمة وتأسيس مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية فأثبتتا عجزهما واتكالهما

بعد ان أثبت المؤسسون الأول كفاءة عظيمة وفرح كل عاقل باستقلالهم المحمود .
وما أصدق ما قاله الاستاذ احمد فتحي زغلول باشا في مقدمة كتاب مر تقدم
الانكليز السكسونيين : « ضعفنا حتى أصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي
نطالبها بحفظ حياتنا ، وخصب أرضنا ، وترويج تجارتنا ، وتحسين صناعتنا ، هي التي
نطلب منها ان تربي الأبناء ، وتطعم الفقراء وترزق العجزة ، وتبني اسباب البطالة
وتحفظ الاخلاق ، وتلم شعث العائلات ، وتجمع اشتات القلوب ، هي التي نطالبها
بتعويض ما نقص من ارادتنا ، وتقويم ما أعوج من سيرنا وسيرتنا ، ورد هجمات
المزاحمين عنا ، والسهر على مصالح كل واحد منا ، فاذا تأخرنا في عمل من تلك
الاعمال باهمالنا ، رميناهنا بسوء الادارة وأتهمناها بحب الأثرة ، والقينا عليها
تبعة خمولنا كلها .

« لا ريب اننا بهذا الزعم قد ضللنا السبيل ، فانما الحكومة وازع لا يكلف الا
ما تقتضيه طبيعته ، وشأن الحكومات في الأمم تأييد النظام ، وحفظ الامن وإقامة
العدل وتسهيل سبل الزراعة ومعاودة بعضهم بعضاً على ما يضمن حرية التجارة ،
ويشجع أهل الصناعات والحرف ، كما تقتضيه المصالح المشتركة ، وعلى قدر
ما تسمح به امکانات ، وبالجمله فالحكومة وازع عام لا واجب عليه الا الأمر
العام ، مما يدخل تحته جميع الناس ، ولا ينفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه ،
وعلى الأمة بعد ذلك ان تستفيد من هذا النظام ، وتنتهز فرصة الامن والطاينة
لتسعى وراء منافعها ، وتطلب الكمال في زراعتها وصناعاتها وتجارتها ، وفي نشر
المعارف وحياء العلوم ، وفي اداء الواجب والحفاظة على الحقوق . »

وبعد فقد نزع داء التوظيف من كيان المصري صفات صالحة كان يشارك
بها أرقى الأمم في حضارتها لو قيض له من يعالجه ، وما دام أصحاب الخدمة
هنا من أكثر عمال الأمم رزقاً ورفاهية وأقلهم تعباً وتبعة ، فالتعلمون من
اذكياء المصريين لن يكون لهم مأرب في غير الاستخدام ، ولو في نطاق
ضيق لا يعود عليهم بكبير فائدة . ذكر الاستاذ محمد علي علوبه باشا في

كتابه مبادئ في السياسة المصرية انه اذا بحثت أمر كل وزارة ومصلحة هالك لأول نظرة ما عليه الادارة من كثرة الموظفين كثرة هائلة حتى أنك لتجد بعضهم يعترف لك اعترافاً صريحاً بان كثرة هؤلاء الموظفين عديمة الجدوى ، وأنها في أحيان كثيرة تعرقل العمل عرقلة مزرية ، واطالما لوحظ من بعض الموظفين انهم لا يأتون الا عملاً تافهاً ، ويقتلون اوقات عملهم في قراءة الصحف وفي الحديث مع زملائهم او مع زائريهم مع استمرار الشكوى من عدم ترقيةهم او رفع علاواتهم . وبعد ان وصف المؤلف ذلك الجيش العاقل من الفراشين والسعاة والجنود على أبواب الدواوين وأقلامها وفي طرقاتها ومنافذها من لا عمل لهم الا تقديم القهوة والمرطبات وحمل بعض الأوراق من حجرة الى اخرى قال : ولقد عمت الفوضى وضاد التواكل والتكاسل من هذا النظام الذي يجب ان يزول اذ هو اثر من آثار الماضي يجب ان نتحرز من مساوئه ، ولا يمكن ان نصف مصر في وقتنا الحاضر إلا بانها بلد الموظفين وملجأ التوظف .

محمد كرد علي

ابو الهذيل العلاف

حياته وفلسفته

١ - تمهيد

كان من أثر اتصال العرب بالفرس والروم في العصر العباسي الأول أن انتشرت في الدولة الاسلامية ثقافات مختلفة للأمم مختلفة . وكان هناك كتاب وشعراء وفلاسفة وعلماء يدعون الى هذه الثقافات رغبة في ان ينجسوا الى الناس . وكان هناك ديانات ومذاهب مختلفة تحاول أن تثبت دعوتها ، حتى اضطر الخلفاء العباسيون الى التدخل في المسائل الدينية ، وحث العلماء على وضع الكتب في الرد على الجوس والدهرية . وعمل المتكلمون ، وعلى رأسهم المعتزلة ، على نشر الدعوة الدينية ، والذب عن حياض الاسلام ، عن طريق العقل ، فاستعانوا بالمنطق اليوناني وصاغوا مسائلهم في قوالبه ، وعرفوا طرق الجدل والمناظرة ، ووضعوا لها قوانين وقواعد تقيدها بها . ولقد بلغ من قوة العلماء في ذلك العصر أن أنفذ واصل بن عطاء اصحابه الى الآفاق ، وبث دعوته في البلاد ، فأجابهم الى ذلك خلق كثير . وكانت مدينة البصرة عاصمة هذه الحركة الفكرية العظيمة ، يجتمع فيها واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وعثمان الطويل ، فينازعون الثنوية والدهرية في أمور التوحيد ، وبنظرون المجبرة في الجبر والاختيار ، والثواب والعقاب ، ويردون على المشبهة في صفات الله والتجسيم . وشجع الخلفاء العباسيون هذه الحركة الفكرية للرد على الملحدين فاختار المهدي رجلاً وكل اليه أمرهم مما صاحب الزنادقة ، وأنفذ الهادي وصية أبيه المهدي فاشتد في طلبهم والتنكيل بهم ، وسلك هارون الرشيد سبيل من قبله من الخلفاء في تعقيبهم ، وأمر المأمون بقتل من حمل اليه من زنادقة البصرة .

٢ - نَسْأَةُ أَبِي الرَّهْزِيلِ : مولده ونسبه وحياته

ففي هذا العصر المفعم بالحياة الدينية والفكرية نشأ أبو الهذيل العلاف وهو أبو الهذيل محمد بن عبد الله بن مكحول العبدي . ولد سنة خمس وثلاثين ومائة في مدينة البصرة في خلافة السفاح . كان مولى لعبد القيس . ولقب بالعلاف لأن داره كانت بالعلافين . ثم أخذ العلم عن عثمان الطويل وطبقته . وعثمان الطويل أخذه عن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد . وقيل إن أبا الهذيل تزوج اخت عمرو بن عبيد . فدفعت إليه قنطرين من الكتب ، فأخذ عنها كثيراً من كلامه حتى بلغ فيه غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد . . يظهر أن نبوغ أبي الهذيل ، لا يرجع إلى ما قبله من هذه الكتب ، ولا إلى ما أخذه عن أستاذه عثمان الطويل بحسب ، بل يعود إلى استعداد الفطري وذكاؤه الحاد . فقد اتفقت الروايات على أن نبوغه كان مبكراً ، وأنه كان له أقل من خمس عشرة سنة أول ما تكلم قال أبو الهذيل :

« كنت أختلف إلى عثمان الطويل ، صاحب واصل بن عطاء ، فبلغني أن رجلاً يهودياً قدم البصرة ، وقد قطع عامة المتكلمين فيها ، فقلت لعلي ، يا عم ، امض بي إلى هذا اليهودي أكله ، فقال لي : يا بني ، هذا الرجل قد غلب جماعة متكلمي أهل البصرة ، فنأخذك أن تكلم من لا طاقة لك بكلامه ؟ فقلت له : لا بد من أن تمضي بي إليه . وما عليك مني غلبي أو غلبته ، فأخذ بيدي ، ودخلنا على اليهودي فوجدته يقرر الناس الذين يكونون على نبوة موسى ، ثم يجحدهم نبوة نبينا . فيقول : نحن على ما اتفقنا عليه من صحة نبوة موسى إلى أن اتفق على غيره فنقره . قال فدخلت عليه ، فقلت له : أسألك أو تسألني ، فقال لي يا بني ، أو ما ترى ما أفعله بشايتك ؟ فقلت له دع عنك هذا واختر ، أما أن تسألني ، أو أسألك . قال بل أسألك . خبرني . أليس موسى نبياً من أنبياء الله قد صحت نبوته ، وثبت دليله . تقر بهذا أو تحجذه فتخالف صاحبك . فقلت له : إن الذي سألتني عنه من أمر موسى هو عندي على أمرين . أحدهما أني أقر بنبوة موسى الذي

أخبر بصحة نبوة نبينا ، وأمر باتباعه ، وبشر به وبنبوته . فان كنت عن هذا تسألني فأنا مقر بنبوته . وان كان موسى الذي تسألني عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد (ﷺ) ولم يأمر باتباعه ولا بشر به ، فلست أعرفه ولا أقر بنبوته ، بل هو عندي شيطان يحرق . فتخبر لما ورد عليه ما قلته له . وقال لي : فما تقول في التوراة ، قلت امر التوراة أيضاً على وجهين ، ان كانت التوراة التي أنزلت على موسى النبي الذي أقر بنبوة نبي محمد فهي التوراة الحق ، وان كانت أنزلت على الذي تدعيه فهي باطل غير حق ، وانا غير مصدق بها . فقال لي احتاج الى ان اقول لك شيئاً بيني وبينك فطننت انه يقول شيئاً من الخير فتقدمت اليه ، فسارني فقال امك كذا وكذا ، وام من علمك . لا يكفى . وقدر اني ائب به فيقول وثبوا بي وشعبوا علي فأقبلت علي من كان بالمجلس فقلت اعزكم الله . اليس قد وقفتم على مسأله اباي وعلى جوابي قالوا لي نعم . فقلت أليس عليه واجب ان يرد علي جوابي . فقالوا نعم . قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشم من علمني . وانما قدر ان ائب به فيدعي انا واثناه وشعبنا عليه . وقد عرفتمكم شأنه بعد انقطاعه . فأخذته الأيدي بالنعال . فخرج هارباً من البصرة وقد كان له بها دين كثير فتركه ^(١) .

لم تنقض حياة ابي الهذيل كلها في البصرة ، بل رحل منها الى مكة وبغداد وسر من رأى . فقد جاء في أحد كتب ابي الهذيل ، انه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل ابي قبيس . وذكر الخطيب البغدادي ، ان أبا الهذيل قدم بغداد سنة ثلاث ومائتين وقد نيف على المائة . وذكر المسعودي ان ابا الهذيل اتصل هناك بالمأمون . وكان المأمون في اول امره ، لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره ،

(١) الحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد او مدينة السلام . المجلد الثالث ص ٣٩٩ - ٣٧٠ راجع أيضاً . امالي السيد المرتضى : ص - ١٢٢ . نكت الهميان في نكت العيان ، صلاح الدين خليل بن ابيك الصفي ، مصر . المطبعة الخيرية سنة ١٩١١ ص - ٢٧٧ - ٢٧٩ . هيون التواريخ . لعمد بن شاكر الكنتي . الجزء السادس ، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٢٧ ص ١٢٠ .

يستعمل النظر في احكام النجوم وقضائها ، وينقاد الى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان . فلما كان من الفضل بن السهل ذي الرياستين ما اشتهر ، وقدم المأمون العراق انصرف عن ذلك كله ، واظهر القول بالتوحيد والوعيد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيراً من الجدليين والمناظرين كأبي الهذيل والنظام . والزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء . وكان يشاركهم في مناظراتهم ، ويردهم الى جادة الصواب عند خروجهم منها . ويروى ان المأمون قال لحاجبه يوماً : من في الباب من اصحاب الكلام . فخرج وعاد اليه فقال بالباب ابو الهذيل العلاف وهو معتزلي ، وعبد الله بن إباح الخارجي . وهشام بن الكبي الرافضي ، فقال المأمون : ما بقي من اعلام جهنم احد الا وقد حضر .

واتصل ابو الهذيل في بغداد بيجي بن خالد البرمكي وسهل بن هارون صاحب بيت الحكمة . فكان سهل بن هارون يظهر له الصداقة ويكن له العداوة . فقد استشفع ابو الهذيل به مرة على رجل في حاجة له فكتب سهل الى الرجل :

ان الضمير اذا سألتك حاجة لأبي الهذيل خلاف ما ابدي

فاذا اتاك الحاجة فامدد له ~~حبل~~ الرجاء بمخلف الوعد

والن له كنفاً ليحسن ظنه من غير منفعة ولا رقد

حتى اذا طالت شقاوة جده ورجا الغنى فأجبه بالرد

وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد

واتصل ابو الهذيل في بغداد ايضاً بالحسن بن سهل وناظر بحضرته اصحاب النجوم ، دخل يوماً على الحسن بن سهل وعنده فتى قد رفع الحسن بن سهل مجلسه ، فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير ، لتوفيه بمعرفته حقه . قال رجل من أهل النجوم ، قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام . قال الاحكام . قال ذلك عمل باطل . أفسأله قال : صل . فأخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه . وقال آكل هذه التفاحة أم لا . قال تأكلها . فوضعها ابو الهذيل . وقال : لست آكلها . قال فتميدها الى يدك ، وأعيد النظر . فوضعها وأخذ غيرها

فقال له الحسن : لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لي لا تأكلها ، فأكلهما خلافاً عليه فيقول : قد اصببت في المسألة الأولى .

ثم ان ابا الهذيل انتقل من بغداد الى سر من رأى ونزل في غرفة بسيطة الى ان يطلب داراً تصلح له : قال سليمان الرقي فمرت به فقلت له يا ابا الهذيل انزل في هذا المنزل فأشدني :

يقولون زين المرء يامي رحله الا ان زين الرجل يامي راكمه وفي سر من رأى مات ابو الهذيل . واختلف في تاريخ موته . فزعم الخطيب البغدادي وابو المحاسن انه مات سنة ست وعشرين ومائتين في أواخر أيام المعتصم . قال المسعودي مات ابو الهذيل سنة سبع وعشرين ومائتين . وقال صاحب كتاب المصاييح لما مات ابو الهذيل بسر من رأى جلس الوائقي في مجلس التعزية . وهذا يدل انه مات في أيام الوائقي . وقال آخرون انه ادرك خلافة المتوكل ومات سنة خمس وثلاثين ومائتين . ونحن نميل الى ترجيح هذا القول الأخير استناداً الى سائر اخباره .

هذه لمحة قصيرة من حياة ابي الهذيل العلاف جمعتهما مما تبعثر من اخباره في كتب التراجم والتاريخ والفلسفة . وفي كتب الأدب اخبار كثيرة عن ابي الهذيل تصور لنا اخلاقه خير تصوير وتبين لنا منزلته احسن تبين .

٣ - أضواء أبي الهذيل

لم تكن اخلاق ابي الهذيل مما يورث الحمد والثناء دائماً . فقد قال الجاحظ ان ابا الهذيل كان ابخل الناس . مثال ذلك انه اهدى الى موسى دجاجة ، وكانت دجاجة التي أهداها دون ما كان يتخذ لمويس ، ولكنه بكرمه وبحسن خلقه ، اظهر التعجب من سخنها وطيب لمحا . فقال وكيف رأيت يا ابا عمران تلك الدجاجة . قال كانت عجباً من العجب ، فيقول وتدرى ما جنسها ، وتدرى ما سنّها . فان الدجاجة انما تطيب بالجنس والسن . وتدرى بأي شيء كنا نسمنها ، فلا يزال في هذا ، والآخر يضحك ضحكاً نعرفه نحن . ولا يعرفه

ابو الهذيل . فان ذكروا دجاجة قال : اين كانت يا ابا عمران من تلك الدجاجة .
وان ذكروا بطة او جزوراً او بقرة . قال فأين كانت هذه الجزور في الجزر ،
من تلك الدجاجة في الدجاج . وان ذكروا عذوبة الشحم قال عذوبة الشحم في
البقر والبط وبطون السمك والدجاج . وان ذكروا ميلاد شيء او قدوم انسان ،
قال ذلك بعد ان اهدبتها لك بسنة . وما كان بين قدوم فلان وبين البعثة بتلك
الدجاجة الا يوم . فكانت مثلاً في كل شيء ، وتاريخاً في كل شيء ^(١) .

ولعل الجغل هو الصفة الجامعة لآثار صفات ابي الهذيل القبيحة ، لأن حرصه
الشديد قد صيره عند بعضهم كذاباً . ولا بد للبخیل من ان يتناقض ويصانع في
التكسب والانتفاع وان يدعي ما ليس فيه . قال الجاحظ :

« قال ابو الهذيل لمحمد بن الجهم وانا عنده يا ابا جعفر : افي رجل مغرق الكف
لا يبق درهماً . ويدي هذه صناع في الكسب ، ولكنها في الاتفاق خرقاء .
كم من مائة الف درهم قسعتها على الاخوان في مجلس ، وابو عثمان يعلم ذلك .
أسألك بالله يا ابا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال يا ابا الهذيل ما اشك فيما تقول .
قال فلم يرض ان حضرت حتى استشهدني . ولم يرض باستشهادي حتى استجلفني ^(٢) .
ولم يكن بجمله الشديد الاصفة متممة لطعمه ، وحب للظهور ، واهتمامه برأي
الناس فيه . حتى قال بشر بن المعتز : « لان يكون ابو الهذيل لا يعلم وهو عند
الناس يعلم أحب اليه من ان يعلم ، وهو عند الناس لا يعلم : ولان يكون من
السفلة وهو عند الناس من العلية ، أحب اليه من ان يكون من العلية ، وهو
عند الناس من السفلة . ولان يكون نبيل المنظر سخيخ الخبر ، أحب اليه من
ان يكون نبيل الخبر ، سخيخ المنظر . وهو بالنفاق اشد عجباً منه بالاخلاص .
ولباطل مقول أحب اليه من حق مدفوع » ^(٣) .

ويظهر ان الجاحظ كان شديداً على ابي الهذيل . فهو الذي وصفه بالجغل الشديد ،

(١) الجاحظ ، البخل ، ص ٦٣ — ٦٤ (٢) الجاحظ ، كتاب البخل ، ص ٦٤

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جزء ٢١ ص ١٠٤ في الهامش .

وقال عنه مع ذلك انه كان اسلم الناس صدراً ، واوسعهم خلقاً واسهلهم سهولة . ولعل هذه الصفات كانت تشفع لأبي الهذيل في شيء من بخله . فقد رأينا يصف الدجاجة التي اهداها الى موسى ويضحك الناس من كلامه ولا يعرف ابو الهذيل معنى ضحكهم وسخريتهم لسلامة صاره وسهولة اخلاقه . وقد رأينا يزل بسر من رأى في غرفة حقيرة ويتعجب اصحابه من ذلك فيقول لهم ان ظواهر المرء لا تدل على قيمته الحقيقية .

ولعل ميله الى الشهرة وطموحه واهتمامه برأي الناس فيه هو الذي دفعه الى مناظرة اليهودي في البصرة وهو لا يزال في الخامسة عشرة من سنه . وحب الظهور اذا اجتمع مع البخل في رجل واحد ، قد بدفعه في بعض الاوقات الى التظاهر بالتكرم والكرم في دائرة ضيقة . وقد يكون التظاهر بالكرم واسطة من وسائل الاصلاح والاقتصاد ، او وسيلة من وسائل دوام النعمة والثروة . حتى لقد ذكر صاحب المنية والأمل ان ابا الهذيل كان يأخذ من السلطان ستين الف درهم في السنة وبفرقها في بعض الأحيان على اصحابه . ويبدو لنا من قراءة اخبار ابي الهذيل ان شخصيته كانت عجيبة ، لا بل متناقضة ، فقد كان بخيلاً ، سليم الصدر ، سهل الأخلاق ، محباً للظهور ، متشققاً ، متظاهراً بالكرم ، موضعاً للعجاب والسخرية معاً .

٤ - كتب أبي الهذيل

ولست هذه الصفات بقادحة في علم ابي الهذيل وقيمه الفكرية والفلسفية ، فقد كان شيخ المتكلمين في زمانه . ولم يتفق لأحد من شيوخ المعتزلة ما اتفق له من قوة الحجة ، ولطيف الكلام ، وقطع المخالفين له في المناظرة . فقد ألف ستين كتاباً في الرد على المخالفين في رقيق الكلام وجليله . ولم يبق من هذه الكتب بين أيدينا الا مخطوط واحد محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢٣٨ عنوانه هذه مناظرة ابي الهذيل لمجنون الدير . ومجنون الدير هذا هو شخصية وهمية تصورها ابو الهذيل للبحث في إمامة علي . أما أشهر كتبه الأخرى فهي :

- ١ - كتاب متشابه القرآن ذكره ابن النديم في الفهرس
- ٢ - كتاب ميلاس ، وكان ميلاس هذا رجلاً مجوسياً أسلم على يد ابي الهذيل .
وكان سبب اسلامه انه جمع بين ابي الهذيل وجماعة من الثنوية فقطعهم ابو الهذيل فأسلم ميلاس عند ذلك .
- ٣ - كتاب القوالب في الرد على الدهرية
- ٤ - كتاب الرد على النظام
- ٥ - كتاب الحجج
- ٦ - كتاب الاعراض والانسان والجزء الذي لا يتجزأ .
وغير هذه الكتب كثير لم يبق الآن منها شيء . ولولا ما حفظ من فلسفة ابي الهذيل في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبخاري ، والمواقف للابيجي ، ومقالات الاسلاميين للأشعري ، والانتصار للخطيب لكنا اليوم لا نعرف شيئاً عن فلسفة هذا الرجل العظيم .

٥ - مبرة أبي الهذيل

لم تقتصر حياة هذا الفيلسوف الفكرية على علم الكلام والجدل ، بل اشتملت ايضاً على علوم اخرى كعلم الحديث ، وعلم الأدب . فقد روى الحديث عن سلمان ابن مرزم وروى عنه محمد الكاتب وابو يعقوب الشحام وابو العيناء وغيرهم . وانتقده أهل الحديث لخبث قوله وكذبه ومفارقة اجماع المسلمين . حتى قال الامام ابن قتيبة ابن ابا الهذيل كان كذاباً أفاكاً . وشارك ابو الهذيل ايضاً في الأدب لحفظ كثيراً من أخبار العرب وأشعارهم . قال ابو حيان في المقابسات :

دخل ابو الهذيل مرة على الواثق . فقال له الواثق لمن تعرف هذا الشعر :

سباك من هاشم سبيل	ليس الى وصله سبيل
للحسن في وجهه هلال	لأعين الخلق لا يزول
وطرة ما يزال فيها	لنور بدر الدجى مقبل
فان يقف فالعيون نصب	وان تولي فهن حول

فقال ابو الهذيل يا أمير المؤمنين . هذا الرجل من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارمي وكان يقول بامامة المفضول . ومن كلمة يقول فيها :

أفضله والله قدمه على صحابته بعد النبي المكرم
بلا بغضة والله مني لغيره ولكنه أولاهم بالتقدم

وقال النظام : ما أشفت على أبي الهذيل قط في استشهاد شعر الا يوم قال له الملقب ببرغوث اسألك عن مسألة فرفع ابو الهذيل نفسه عن مكانته فقال ببرغوث :

وما بقيت علي تركتاني ولكن خفتا صرد النبال

ولم اعرف في تقيضه بيتاً يمثل به . فبرز ابو الهذيل وقال لابل كما قال الشاعر :

وارفع نفسي عن بحيلة اني اذل بها عند الكلام وتشرف

وكان القوم يحولونه ويعظمونه لسعة علمه وكثرة حفظه ومعرفة خاطره .

قال ثمامة وصفت ابا الهذيل للمأمون فلما دخل عليه جعل المأمون يقول لي يا ابا معن وابو الهذيل يقول لي يا ثمامة . فكادت اتقد غيظاً . فلما احتفل المجلس استشهد ابو الهذيل في عرض كلامه بسبع مائة بيت فقلت له ان شئت فكنتي . وإن شئت فسفني . وذكر ابن النديم في ترجمة ثمامة بن اشرس انه بلغ المأمون ان ثمامة لا يقوم لطاهر بن الحسين ويقوم لأبي الهذيل ويأخذ ركابه حتى ينزل فسأله عن ذلك فقال ابو الهذيل أستاذي منذ ثلاثين سنة .

. وفي وفيات الأعيان كلام لأبي الهذيل في العشق يدل على فصاحته وبلاغته . قال اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من أرباب الكلام فسألهم عن حقيقة العشق فتكلم كل واحد بشيء . وكان ابو الهذيل في جملتهم فقال : « أيها الوزير ، العشق يختم على النواظر ، ويطبع على الأفئدة ، مرتعه في الأجسام ، ومشرعه في الأكباد ، وصاحبه متصرف الظنون ، متفنن الأوهام ، لا يصفو له مرجو ، ولا يسلم له مدعو ، تسرع اليه النوائب ، وهو جوعة من تقيع الموت ، ونقعة من حياض الشكل ، غير انه من اريحية تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في الشائل ، وصاحبه جواد لا يصغي الى داعية المنع ، ولا يصيح لنازع العذل » .

ومعرفة ابي الهذيل يجيد الكلام ، جمعت المبرد يقول فيه : ما رأيت أفصح من أبي الهذيل والجاحظ ، ولئن كان الجاحظ أقدر على فنون الكتابة من ابي الهذيل لقد كان ابو الهذيل أحسن مناظرة منه . وقال الخياط في كتاب الاختصار ، كان ابو الهذيل نسيج وحده ، وواحد دهره ، في البيان ، ومعرفة جيد الكلام . وجميع المتكلمين الذين عاصروا ابا الهذيل كانوا يقررون له بالتقدم عليهم ، في حسن الجدل وقوة الحجة ، حتى لقد قال ابن النديم كان ابو الهذيل شيخ البصريين ومن اكبر علمائهم ، وقال ابن خلكان كان ابو الهذيل حسن الجدل ، قوي الحجة ، كثير الاستعمال للأدلة والالزامات . وذكرنا ان النظام كان قد نظر في شيء من كتب الفلاسفة فلما ورد البصرة ، كان يرى انه قد اورد من لطيف الكلام ، ما لم يسبق علمه الى ابي الهذيل العلاف ، قال فناظرت ابا الهذيل في ذلك ، فخيّل لي انه لم يكن متشاعلاً قط إلا به ، لتصرفه فيه ، وحذقه في المناظرة فيه . وكثيراً ما كان ابو الهذيل يناظر النظام ويقطعه ، ناظر النظام ابا الهذيل مرة في الجزء الذي لا يتجزأ فألزمه ابو الهذيل مسألة الذرة والتعل ، وهو أول من استنبطه فتخير النظام في ذلك فلما جنّ الليل نظر اليه ابو الهذيل ، واذا النظام قائم ، ورجله في الماء يتفكر ، فقال يا ابراهيم هذا حال من يناطح الكباش . وكان ابو الهذيل يقطع خصمه بأقل كلام ، حكي انه لقي صالح بن عبد القدوس ، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه . فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عليه وجهاً ، إذ كان الانسان عندك كالزرع ، قال صالح : يا أبا الهذيل انما الجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له وما هذا الكتاب يا صالح ، قال هو كتاب ، قد وضعته ، من قرأه ، يشك فيما كان حقاً يتوهم أنه لم يكن ، ويشك فيما لم يكن ، حتى يتوهم أنه قد كان . فقال له ابو الهذيل فشك أنت . في موت ابنك ، واعمل على انه لم يمت ، وان كان قد مات ، وشك أيضاً في قراءته كتاب الشكوك ، وان كان لم يقرأه .

وقال ابو الهذيل قلت لجهمي ما تقول في النار قال بنت الله ، قلت فالبقر

قال ملائكة الله ، قصّ اجنتها وحطّها الى الأرض ، يجرث عليها ، فقلت فالماه
قال نور الله ، قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاته ، قلت من يحمل
الأرض . قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شرّ من الجوس اخذوا ملائكة الله ،
فذبجوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شوّوها بينت الله ، ثم دفعوها الى فقر الشيطان ،
وفاته ثم سلخوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله ، فانقطع الجوسي ونجل .
وكان أقدر على اقناع العلماء منه على اقناع العامة . قيل له مرة إنك لتناظر النظام
وتدور بينكما نوبات . واحسن احوالنا اذا حضرنا ان ننصرف شاكين في القاطع
منكما والمنقطع ، ونراك مع هذا يناظرك زنجويه الجمال فيقطعك في ساعة ، فقال
يا قوم ان النظام معي على جادة واحدة ، لا يخوف أحدنا عنها الا بقدر ما يراه
صاحبه ، فيذكره انحرافه ، ويحمّله على سننه ، فأمرنا قريب ، وليس هكذا زنجويه
الجمال ، فانه يبتدي معي بشيء ثم يطفرّ الى شيء آخر بلا واصله ولا فاصله ،
وابقى ، فيحكم علي بالانقطاع ، وذاك لمعزي عن رده الى سنن الطريق الذي
فارقني فيه آنفاً .

وفي هذا القول اشارة الى شروط الجدل ، وضرورة التقيد بموضوع البحث ،
وتحديد المعاني في السؤال والجواب ، والافتناع والبرهان . والجدل هو الطريقة التي
سلكها ابو الهذيل ، واصحابه من المعتزلة في عرض فلسفتهم ، والدفاع عن آرائهم ،
فتولد من هذه المناظرات فلسفة عامة مشتملة على نظريات مختلفة ، في حقيقة الاله
والكون والانسان .

(يتبع)

جميل صليبا



أقرب الموارد

اطلعت بنظرة مجملة على كتاب أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لما رأيت أنه أكثر الكتب اللغوية الحديثة تداولاً بين الأيدي لسهولة مأخذه وحسن ترتيبه .

نظرت إليه هذه النظرة في بابي الحمزة والباء منه فرأيت فيه بعض مخالفات لما عرفته من كتب الأئمة السالفين الأثبات فأحببت عرضها على التجارير ليحصوها فإذا صح نظري فيها تجنبها الآخذون عنه .

١ - في مادة (ا ب ب) الآب الكلاً الذي تعتلفه الماشية ج الأوب
هذا جمع غريب ولعله جمعه على أفعل ثم اعلّ وأبدل ولكنه لم ينص عليه صاحب التاج ولا صاحب اللسان مع جمعها لكل شاردة ولا ذكره صاحب المختار ولا الأساس .

٢ - في (ا ب و) إباءة . آباءة

هكذا أوردتها بالفتح ونص القاموس إباءة بالكسر .

٣ - في (اذن) المؤذنة . . . طائر في القاموس بفتح الذال .

٤ - في (ارق) أرق . . . ذهب نومه بالليل فهو أرق وأرق وأرق الأخير لمن عادته الأرق .

وفي اللسان فهو ارق وأرق وأرق وأرق ، وضع أرق موضع أرق كندس كما وزنها في مستدرك التاج وأما ارق بالنسكين فلم أرها في مالدي من كتب الأثبات .

٥ - في (ازي) أزي ل يأزي أزيا أنه من وجهه ليختله .

في اللسان أزيت لفلان أزي أزيا إذا اتيت من وجه مأمته ليختله وهذه عبارة الليث فهي إذا من باب رمى ثم لم تحذف مأمته والمراد لا يتم إلا بها .

٦ - في (اش ر) أشر الخشبة بالشار . ض . أشراً : نشرها اي من باب ضرب

عبارة القاموس اشر الخشب بالمنشار : شقه واذا أطلق صاحب القاموس الفعل الثلاثي كان من باب نصر ونص المصباح على انه من باب نصر وكذلك المختار ولم يقل احد فيما أعلم انه من باب ضرب .

٧ - (ا ش ف) الأُشْفُ : صمغ نبات

صوابه الأُشْقُ بالقفاف قال في التاج وهو المعروف في مصر بقناوشق .
٨ - (ا م ر) . وآمر آخر أيام العجوز

آمر هو السادس منها . وآخرها مؤتمر قال في اللسان وكان الأول منها يأمر الناس بالخذر والآخر يشاورهم في الظعن . ١٠ هـ .

واذا احرزنا الترتيب من شعر ابي شبل الاعرابي كان أمر رابعاً فليتأمل ولو قال صاحب اقرب الموارد كما قال صاحب القاموس وآمر ومؤتمر آخر أيام العجوز كان أسلم

٩ - (ا ن ح) الأِنْجُ . . . المتخنج بخلاً اذا سئل

هكذا ذكرها على وزن قرح وصوابه آنج على وزن راع كع كما وزنه صاحب القاموس

١٠ - (ا ن ف) انفه . ض . ل . أنفاً ضرب انفه اي من باب ضرب وعلم

صريح القاموس وشرحه انه من جذ ضرب ونصر .

١١ - (ا ن ن) أن المريض . . . وأنانا

هكذا والصواب أنا بالضم كما هو منصوب عليه وهو من الاصوات كالصراخ والجوار والنعاق

١٢ - البانورنج [كسر التون] والصواب فتحها

١٣ - (ب ب ر) البئر وزان قلب وكبد الأسد الهندي دخيل

صوابه البير بياءين . وهذا غلط مطبعي اما انه بوزان كبذ فلم أره لغيره وقد جاءت فيه لغة ثانية بكسر فسكون كما في الألفاظ الفارسية المعربة .

١٤ (ب ث ر) . . . والبَئثار . . . السيف القاطع

هكذا بوزن محاب وانما هو البُئثار بضم ففتح فان ففتح الباء شددت التاء فقلت البَئثار ككثان .

١٥ - (ب ب ح ث) انجث لعب بالبعثة أي التراب

تبع في هذا صاحب القاموس وصوبه صاحب التاج بالفتح .

١٦- [ب ذ] . بذأت الرجل بَذْأَ رأيت منه حالاً كرهتها (ض)

جعلها من باب ضرب ونص التاج والقاموس أنه من باب منع والقاعدة فيما كان عينه أو لامه حرف حلق ان يكون منه عند عدم النص على خلافه ولا أظن ان هناك نصاً والا لذكره صاحب التاج

١٧- [ب ذق] الباذق يفتح الذال

الصواب ترك الهمز والذال تفتح وتكسر كما في القاموس

١٨- [ب ذ م] فلان ذو بَذْم أي له رأي وحزم قال :

[كريم عروق التبعين مظفر ويغضب مما منه ذو البَذْم يغضب]

الصواب في معنى الرأي والحزم البَذْم بالضم قال في اللسان قال الأصمعي اذا لم يكن للرجل رأي قيل ماله بَذْم . واما البَذْم فهو مصدر البذيم وهو العاقل الغضب من الرجال اي انه يعلم ما يأتيه عند الغضب كذا حكاه أهل اللغة وقيل يعلم ما يغضب له قال الشاعر :

كريم عروق التبعين مظفر . ويغضب مما منه ذو البَذْم يغضب ١٨

وجاء في الشاهد مظفر مكان مظفر . وأنشد صاحب اللسان للمرّار :

قد طال ما عشت بغير بَذْم

وفسره صاحب التاج بغير صرورة وقد بَذْم بَذامة ١٨٠ .

١٩- [ب رد] برّد الجراد والجندب جناحاه كقوله :

اذا تجاوب من برّديه ترنيم

هكذا ضبط بالشكل برّديه بفتح الباء والصواب ضمها والبيت لذي الرمة .

٢٠- [ب ر ص] برص سام أبرص ج سوام أبرص وان شئت قلت برصة

هكذا أورد برصة بأسكان الراء والصواب برصة كناية وأورد سوام أبرص

بفتح الميم المشددة على نحو فتحها في المفرد وقد أوردها صاحب اللسان بضمها أكثر من مرة .

٢١- [ب ز ل] امرأة بَزْلَاءَ الرأي : جَيِّدَتَهُ
 صحة العبارة ان يقول امرأة ذات بَزْلَاءَ اي جيدة الرأي لأن بَزْلَاءَ هنا
 اسم لا صفة وفي اللسان البَزْلَاءَ الرأي الجيد وانه لذو بَزْلَاءَ اي رأي جيد وعقل
 وأنشد للراعي :

من أمر ذي بَدَوَاتٍ لا تزال له بَزْلَاءَ يعيا بها الجشامة اللبَدُ

٢٢- [ب ش ك] ابشك سلاه : انقطع
 وفي القاموس ابشك سلكه : انقطع والأمر في ذلك سهل
 ٢٣- بَطَلٌ في حديثه بطالة

جمله من باب نصر كما هو سياق صاحب القاموس ولكن صاحب التاج قال
 والصواب انه من حدّ علم كما في الجمهرة .

٢٤- [ب ع د] البَعْدُ : البعيد المالك يستوي فيه الواحد والجمع يقال
 ما أنت منا يَبْعِدُ وما أنتم منا يَبْعِدُ .

هكذا جاء يبعد على وزن حَذِرَ والصواب يَبْعِدُ بفتح العين وهو الذي
 يستوي الواحد والجمع لانه جاء على صيغة المصدر وفي اللسان وغيره ما أنت
 منا يَبْعِدُ وما أنتم منا يَبْعِدُ أي بعيد .

٢٥- [ب ع ر] بَعِرَ الجمل بَعْرًا القى بعره
 صريح المختار والقاموس انه كمنع وهو ظاهر اللسان ولم أجد من نص على
 انه من باب فرح . وإنما بَعِرَ الجمل بَعْرًا اذا صار بعيرًا .

٢٦- [ب ع ر] البَعْرُ والبَعْرُ : رجيع ذوات الخلف والظلف
 كان عليه ان يقول الا البقر لأن رجيعه ليس ببعر وقد استثناه الأئمة .
 ٢٧- [ب ع ص] البَعْمُومُصَ والبَصُومُصَ

هكذا جاء به مفتوح الباء وصوابه ضمها اذا اسكنت العين .

٢٨- [ب ق ع] الأَبْقَعُ الغراب ج يَقْعَاتُ
 هكذا جاء بها بكسر الباء والصواب ضمها كما نصوا عليه وُفْعَلانٌ بِكَادٍ
 يطرد فيما كان منه وصفًا كَأَحْمَرٍ وَأَحْمَرانٍ وَأَسْوَدٍ وَأَسْوَدَاتٍ .

٢٩ [ب ق ل] ارض بقالة : كثيرة البقل

تبع صاحب القاموس بالتشديد وصوب صاحب التاج انه كسحابة

٣٠ - ب ق ي ٠٠ وبقي ض بقياً : دام وثبت

أي انه كضرب [لغة فيه] وليس كذلك وانما اللغة الثانية بقي يبق وهي لغة
طبي وقد وقع بهذا الهم الشيخ أبو عبد الله القامي المتوفى سنة ١١١٠ هـ
ورده صاحب التاج بأنه لا فائل به .

٣١ - [ب ك ء] در عني قل دمعها فهي بكى وبكىة بالهمز والتشديد
التشديد لا يكون مع الهمز وانما يكون بدونه في عبارته تسامح .

٣٢ - [ب ل ت] البآيت : الفصيح

هكذا وزان فصيح والمعروف عند الفخاير البآيت كسكيت .

٣٣ - [ب ل ل] بلال من اعلامهم .

هكذا ضبطه بالفتح والصواب بالكسر ككتاب كما هو صريح القاموس

٣٤ - [ب هـ ر] بهراً له أي نعماً

هكذا ضبطه بالضم والصواب بالفتح كما في لسان العرب ونصه «وبهراً له
أي نعماً وعلبه» قال ابن ميادة :

تفاقد قومي إذ يبيعون مهجني مجارية بهراً لم بعدها بهراً
وقال عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد الرمل والحصى والتراب
هكذا كلها جاءت بالفتح .

٣٥ - [ب هـ ز] هم أبناء بهزة أي أولاد علة

صوابه أبناء علة يقول الزمخشري وهم أبناء بهزة أي اولاد علة الواحد

ابن بهزة ٠١٠ وهم الأخوة لأهات شقي من أب واحد .

٣٦ - [ب هـ ز] تهيئت أشياء : عملتها

صوابه علمتها من العلم لا من العمل ونقل الصاغاني «ولو علمت ان الظلم ينمى لتبهزت اشياء كثيرة» اي علمتها •

٣٧ - [ب و ق] البوقفة بالفتح دفعة من المطر شديدة أو منكورة يقال أصابنا بوقفة ج بوق

هكذا ضبط البوقفة بالفتح وصوابه البوقفة بالغم وهي الدفعة من المطر كما في الصحاح زاد غيره شديدة أو منكورة ج بوق كصرد كذا جاء في التاج وعبرة صاحب اقرب الموارد هي بينهما هذه العبارة فلماذا نص عليها بالفتح والمنصوص عليها هنا الغم وفي اللسان والبوق والبوق والبوقفة الدفعة المنكورة من المطر وقد انبأقت •

٣٨ - [ب ي ض] بياض الأظافر: أصولها

في مستدرک التاج وبياض الكبد والقلب والظفر ما احاط بها وقد فسرهما بأصولها فحرفها أو انه اراد ان يقول ما حولها فحرفها الناسخ •

تعقيب

أنا معجب بمجهود المؤلف وسهره لتجويد تأليفه ولا أواخذه بما رأيت من أغلاط لأنه لا يسلم من أمثالها كثير من النحارير والعصمة لله تعالى •

وأما الذي أواخذه عليه انه لا يراعي الحرمة في سرده الشاهد من القرآن والحديث وربما غير لفظ الحديث الذي يستشهد به • مثال ذلك بقول في مادة ث ق ل «ومنه اني تارك فيكم القرآن وعترتي» مع ان نص الحديث المستشهد به «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» ويقول في اللسان كما في النهاية جعلهما ثقلين اعظاماً لقدرهما وتفخياً لهما فحذف الثقلين وغير كتاب الله • وما هو الا ناقل وليس ما استشهد به من كلامه ليكون اعترافاً منه او حجة عليه ولو كان من كلامه لم يصح له الاستشهاد به وليس هونص الحديث ليصح الاستشهاد به وأما الشاهد لا يغير ولا يبدل

وجاء فيه في مادة [ب ق ع] «ونادى موسى ربه في البقعة المباركة» وأما

الآية «فلما أتاهما نودى من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى اني الله رب العالمين» .

وجاء في مادة [ادب] ان هذا الكتاب مأدبة الله في الأرض . ونص الحديث المستشهد به كما في النهاية «وفي حديث ابن مسعود ان هذا القرآن مأدبة الله في الأرض» . فجاء بالكتاب مكانه ليكون أعم ولكنه غير الشاهد . وقام الحديث فتعلموا من مأدبته .

وجاء في مادة [ب ق ي] ولا تأتي الباقية مصدراً خلافاً لمن استظهر على ذلك بهذا الكلام «فهل ترى لم من باقية» فقله بهذا الكلام فيه من الجفاء وقلة الحرمة ما لا يليق بأمثال المؤلف .

على أن دعواه بأنها لا تأتي مصدراً جاءت بلا دليل وفي المصباح بقي الشيء يبقى من باب تعب بقاء وباقية دام وثبت وقول صاحب القاموس انها نزلت منزلة المصدر لا يستلزم انها لا تتأق مصدرًا كما جزم به صاحبنا وورود المصدر على فاعلة كثير كالغافية والطاغية والعاقبة .

ثم رأيت قليل العناية بضبط الشواهد من الشعر .
فن ذلك بيت التتخلل الهذلي :

لا در درمي ان اطعمت نازلکم قرف الخطي وعندي البر مكنوز
أورده الخطي بالطاء وإنما هو الخطى بالثاء وهو المقل أو سويقه . وقرفه قشره والمقل : صمغ الشجر .

وفي مادة [برع] :

فكبا كما يكبو فنيق نازرٌ بالخطب الا انه هو أبرع
والبيت أورده صاحب اللسان وصاحب التاج بالجنب أي بالجيم والنون بعدهما باء وفسره صاحب التاج اي سقط الثور . وسقوطه يقضي بأن يكون لجنبه
وفي مادة [ب س ر]

قصبتها والشمس حمراءُ بَسْرَةً بسابقة الأثناء موت مُفلس

ولم أعتد للمراد بسابقة الأنعام . وإنما البيت كما أورده صاحب اللسان
بسائفة الأتقا . أي الأرض بين الرمل والجلد والبيت للبعث .

وفي مادة [اوب]

قد جال بين دريسيه مؤوَّبةٌ مُسمعٌ لها في عظام الأرض تهزيز
فتح مؤوَّبة على صيغة المفعول وإنما هي على صيغة الفاعل وضم ميم مُسمع
وهي ربح الشمال وهي مكسورة .

وقد أورد صاحب اللسان هذا الشاهد في مادة [اوب] ومادة [هزز]

بما نصه :

قد حال بين دريسيه مؤوَّبةٌ مُسمعٌ لها في عظام الأرض تهزيز

احمد رضا

النبطية « جبل عاملة »

المقصورة^(١) الناجية

تقوم مصاحبة الآثار السورية منذ ثلاث سنين بأعمار قسم من الجدار الشمالي في الزاوية الشرقية في الجامع الأموي . وهذا الجدار ببناؤه الحالي عمر في سنة (٥٠٣) كما تشير الى ذلك عدة كتابات منقوشة عليه . والظاهر انه تأثر بحريق سنة (٤٦١) فنقض وجدد بناؤه بعد اثنتين واربعين سنة من تاريخ الحريق او ثمان وعشرين عاماً من تاريخ تجديد بناء الجامع ولا يبعد ان يكون العمل استمر في الجامع الى سنة (٥٠٣) .

على ان هذا الجدار تأثر بعدة زلازل كانت بعد هذا التاريخ أعظمها زلزال سنة (١١٧٣) الذي أحدث تجريبات عظيمة في دمشق والجامع الأموي . منها هذا الجدار الذي وقع قسم منه على أرض المسجد ودار بني الغزي في الجهة التي يجري فيها الاصلاحات الآن وامال هذا الجدار نحو الشمال (٦٥ سم) وهذه الزاوية الشرقية الشمالية التي يجري فيها الاصلاح الآن كان لها ماض مجيد من الجهة الثقافية فكان فيها خزانة كتب وحلقة علم تمثل فيها الحركة العلمية في دمشق بالعهد الأيوبي أحسن تمثيل وهي التي عرفت في كتب التاريخ « بالمقصورة الناجية » .

مساحة هذه المقصورة : تبلغ مساحتها من الشرق الى الغرب خمسة أمتار و (٣٠ سم) ومن الشمال الى الجنوب مثل ذلك وشرقيها وشمالها جدارا الجامع . وفي الجدار الشرقي باب يدخل منه الى دار لطيفة فيها بعض حجرات كانت تابعة لهذه المقصورة يسكنها في عصرنا مؤذون الجامع أما الغرب والجنوب ففتوحان

(١) المقصورة في المسجد قسم منه يحاط بسياج من خشب مزخرف أو نحوه لا يدخلها إلا المختصون بها . ويحدثنا ابن جبير في رحلته حينما زار الجامع الأموي عن عدة مقاصير كانت فيه واتها تمنعها الطلبة للنسخ والدرس والافتراء عن الإذحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة .

الى اروقة الجامع غير انه كان لها حواجز خشبية بصناعة مزخرفة لطيفة يوجد نموذج منها على مقربة من المقصورة في مسجد الحسين موضوعة على نوافذ كبيرة بين المشهد الخارجي والمشهد الداخلي . وقد اظهرت الحفريات الجديدة الاساس الذي كان يقوم عليه الحاجز الغربي للمقصورة التاجية .

انسابها : لا نعرف كيف نشأت هذه المقصورة وفي أي زمن انشئت ولكن النعيمي في تنبيه الطالب ^(١) يفيد بأنها كانت تعرف بابن سنان ثم بالتاجية ثم بالسلاوية فمن هو ابن سنان هذا وفي أي عصر كان ؟

يقابل هذه المقصورة من جهة الغرب مقصورة شافعية تعرف بالزاوية الغزالية ^(٢) لأن الغزالي الشهير تزلها ودرس فيها بعد الشيخ نصر المقدمي المتوفى سنة (٤٩٠) ووقف عليها صلاح الدين الأيوبي قري بصيدا ^(٣) .

فالظاهر ان المقصورة التاجية وهي حنفية انشئت في الجانب الشرقي لتناظر الزاوية الغزالية الشافعية في الغرب فكانت التاجية معقلاً علمياً للتكتل الحنفي بدعمها ملك دمشق (المعظم عيسى) ذو الحماسة الشديدة لمذهبه الحنفي ^(٤) .

فتاج الدين الكندي استاذ الملك ، والمؤرخ الشهير بسبط ابن الجوزي الحنفي - صديق الملك - وكان من أعظم وعاظ عصره يعظ الناس قبلي هذه المقصورة بكرة النهار كل يوم سبت فكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون

(١) نسخة خطية في المجمع العلمي بدمشق [١ : ٧١٢] منها . وتؤيد الكتابات المنقوشة على الأحجار في هذه المقصورة هذا النص . وفي البداية والنهاية [١٣ : ٧٢] ما يفيد بأنها تدعى مقصورة ابن سنان الحلبية ، كما تدعى الحلبية فقط ، ويسمى ابن فضل الله الدمري في مسالك [١ : ١٩٦ و ١٩٧] بالحلبية . (٢) كانت هذه المقصورة على هيئة قبة من خشب مطلي بدهان أخضر سكنها في الأزمنة المتأخرة هجرة الأتقان ثم أخرجوا منها سنة [١٣٣٢ هـ] تقريباً ورفعت هذه القبة وأتلفت حتى لا يعود إليها أحد . (٣) طبقات السبكي [١٠٢:٢] وتنبيه الطالب (٤) لمعرفة شدة حماسة للمذهب الحنفي يراجع ابن خلكان [٥٠١:١] النجوم الزاهرة [٢١١:٦] السهم المصيب في كبد الخطيب وهو من مؤلفاته للاتصاف لابي حنيفة .

البسائين في الصيف حتى يسمعوها ميعاده وكان تاج الدين الكندي وغيره من المشايخ يحضرون عنده تحت قبة يزيد^(١) التي عند باب المشهد كما كان الملك المعظم يحضر دروسه في بعض الأحيان . ومحمد بن عمرو الموصلی - وهو من خواص الملك المعظم - انشأ على مقربة من التاجية مقصورة أخرى اشتهرت بالعروبة وقف فيها درس حديث وخزائن كتب .

فهذه أمور كلها تشير الى التكتل الحنفی الذي كان يغذبه الملك المعظم وبنييه . وكان لهذه المقصورة قيمة عظيمة في نظر الناس فحينما قدم قاضي القضاة صدر الدين الحنفی البصراوي الى دمشق من القاهرة وخرج الناس لتلقيه وهنؤه قرئ تقليده بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية من جامع بني أمية^(٢) وأقدم وثيقة لدينا عنها هي الكتابة المنقوشة على الجدار الشمالي لجهة الغرب منها المتضمنة أوقافاً على هذه المقصورة من قبل ناصح الدين الفیدي ويرجع تاريخها الى سنة (٥٨٩) . وناصر الدين هذا لا نعرف عنه أكثر مما جاء في الروضتين^(٣) فقد ذكر مؤلفها في حوادث سنة (٥٨٣) ان صلاح الدين جمع الأسارى المعروفين وسلمهم الى والي قلعة دمشق الناصح الفیدي . وهناك وثيقة ثانية عنها هي اجازة تاج الدين الكندي المؤرخة سنة (٥٩٨) وهي تفيد قائمة عظيمة باسماء ستة وثمانين شخصاً من العلماء والأدباء والأمرء والأعيان وغيرهم الذين سمعوا على تاج الدين المذكور المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار للطحاوي في المقصورة المذكورة بالتاريخ المتقدم وبتاج الدين هذا عرفت هذه المقصورة فترجم لها التبعي في تنبيه الطالب باسم الزاوية التاجية .

(١) البداية والنهاية [١٩٤: ١٣] وقبة يزيد هذه كانت تعرف قبل عشرين سنة بقبّة زين العابدين ، وتعرف في عصرنا بقبّة الساعات . وكانت قائمة على أعمدة كتبة المال القرية من الزاوية الغربية ولكنها سقطت في زلزال سنة [١٢٧٣] فأعيد بناؤها على جدران . وهذه القبّة هي المقابلة لباب مشهد الحسين المعروف في كتب التاريخ بمشهد علي .

(٢) ٧٩ : ٢ (٣)

(٣) البداية والنهاية ١٤ : ٢٢ .

مكتبة هذه المقصورة : كانت المكتبة ولا تزال جزءاً من أجزاء المدرسة لذلك كان من اللازم ان يكون لهذه المقصورة مكتبة يلجأ اليها الدارسون للمطالعة والدراسة . وقد أشار لهذه المكتبة عدد من المؤرخين ويحدثنا ابوشامة انه وجد فهرس هذه المكتبة بخط واقفها تاج الدين الكندي وان عدتها (٧٦١) مجلداً وهذا تفصيلها ^(١) :

(١٤٠) علوم القرآن و (١٩) الحديث و (٣٩) الفقه و (١٤٣) اللغة و (١٢٢) الشعر و (١٧٥) النحو والتصرف و (١٢٣) علوم الأوائل من طب وغيره ويجب ان لا ننفل عن نص ابن خلكان الذي يقول فيه عن الكندي انه لما سافر الى مصر افتنى من كتب خزائنها كل نفيس وما قاله ابن القفطي انه افتنى من كتب خزائن الديار المصرية عند ما بيعت في الأيام الناصرية كل نفيس على قلة ما ابتاعه . ومن الواضح ان ابن القفطي يريد بهذه الخزائن خزائن الفاطميين وان المراد بالأيام الناصرية أيام صلاح الدين . ومن هذا نعلم قيمة هذه المكتبة القيمة رغم قلة عددها على ان ياقوت الرومي — وهو الخبير بالكتب وقيمتها — يعظم من شأن هذه المكتبة فيقول عن تاج الدين الكندي : وكانت له خزانة كتب جليلة في جامع بني أمية ^(٢) .

ويقول أبوشامة : وكان معتقه نجيب الدين ياقوت قد هباً لها خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان. الحنفية المجاورة لمشهد زين العابدين بجامع دمشق ونقل اليها جملة من هذه الكتب ثم انها تفرقت وخرجت عن الخزانة وعدمت وبيع جملة منها سرّاً وجهراً ^(٣) .

ويترجم ابن كثير ^(٤) مولى تاج الدين الكندي فيقول : ياقوت ، ويقال له يعقوب بن عبد الله نجيب الدين مولى الشيخ تاج الدين الكندي وقد وقف اليه الكتب التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق وكانت سبعةائة واحدى وستين مجلداً ، ثم على ولده من بعده ثم على العلماء فتمحقت هذه الكتب

(١) ذيل الروضتين (٢) معجم الأدباء ١١٠: ١٧٥ (٣) ذيل الروضتين (٤) البداية والنهاية ١٣: ١١٦

وبيع أكثرها وقد كانت ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشعر جيد وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب سنة (٦٢٣) .

ورغمًا عن مبالغة أبي شامة وابن كثير في تمزيق هذه المكتبة فإننا نجد ابن فضل الله العمري المتوفى سنة (٧٤٩) يشير إلى أن مكتبة المقصورة كانت موجودة في عصره^(١) على أنه أنشئ إلى جانب هذه المقصورة مكتبة ومقصورة علم كانت كاللعمامة لها فقد أنشأ محمد بن عروة المتوفى سنة (٦٢٠) في مشهد الحسين الملاصق لهذه المقصورة خزانة كتب ودرس حديث^(٢) ويحدثنا ابن أبي أصيبعة^(٣) بأن أبا الفضل بن عبد الكريم المهندس الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني وكتب نسخة منه بعشر مجلدات ووقفها في الجامع الأموي مضافة إلى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة .

كتابات المقصورة القديمة : في هذه المقصورة خمس كتابات بخط نسخي عادي منقوشة على أحجار في الجدران داخلها تعطينا فكرة عن نواح قيمة فيها . وقد تناثر كثير من حروف الكتابة فلم تظهر معالمها . ومن الغريب أن بعض الناس أخذ في قراءة هذه الكتابات فظهر له منها أنها أسماء عقارات موقوفة على المؤسسات

الكتبة الأولى : على الجدار الشمالي في المقصورة (٦٣ × ٧٣) ونصها :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير (٢) ناصح الدين الفيدي بن محمود تقبل الله (٣) منه الربع من قرية دربل من الاقليم^(٤) (٤) وعمارة الفندق الذي أنشأه خارج باب (٥) شرقي على القراء الأخيار الحفاظ الحنفية (٦) يقرأ كل واحد سبعمائة من القرآن بكرة كل (٧) يوم في هذه المقصورة ويلقن الصبيان المتعلمين (٨) لكتاب الله بها على ما ذكر في كتاب الوقف (٩) المقر لها وذلك في سنة تسع وثمانين [ن] وخم [سمائة] .

(١) ممالك الألبان : ١ : ١٩٩ (٢) تنبيه الطالب مخطوط البداية والنهاية ١٠١ : ١٣

(٣) عيون الأنباء : ٢ : ١٩١ (٤) الاقليم هو ما يسمى في عصرنا بقضاء وادي العجم

الكتابة الثانية : في الحائط الشرقي على يمين الداخل الى الدار المعروفة قديماً بالحلبية (٧٩ × ٥٥) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) الحاج الياس بن بشاره بن أبي الحسن^(١) جميع البستان المحدود (٣) د الموصوف بقربة كفرسوسية ونصف وثمن الحقول (٤) التي تحت المنبئ [مع]^(٢) على المقصورة الشرقية الحنفية المعروفة (٥) بمقصورة بن سنان وقفا على الخبز والكسوة بما يراه الناظر [ظر] (٦) الى كتاب الوفية وذلك في جماد الأول سنة احدى وستائة للهجرة .

الكتابة الثالثة : على مقربة من الكتابة الأولى أسفل منها قليلاً (٩٠ × ٨٠) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) السلار اسماعيل بن سليمان بن ايداش^(٣) عن الحاج الياس بن بشاره (٣) ابن ابي الحسن جميع ما ابتاعه بثلاث ماله الذي اوصى به في ذلك وهو (٤) بدمشق وظاهر [ها] منه دار بدرب الحرزيين من ناحية درب (٥) الريحان^(٤) ومنه أربعة اسهم وثلاث ورבע سهم من اربعة وعشرين سهماً (٦) من كل واحد من الثلاث الحوانيت بسوق الأ[ساكفة] العتق ومنه الت[ن] من الفندق (٧) والعشر حوانيت و[منه] . . . بالعقبة تعرف . . . [و] منه ثلث الت[ن] هـ (٨) المعروفة بالطيرة [خارج الس] ور على الفقراء والمساكين (٩) (١٠) خمس عشرة وستائة .

الكتابة الرابعة : خلف الدعامة التي ترتبط بها أقواس الرواق الشمالي مع الرواق الشرقي وتجعل المقصورة مربعة الشكل (٦٦ × ٨٣) ونصها : — (١)

(١) هو أحد أصدقاؤه التاج الكندي وتلاميذه وسيأتي ذكره فيمن سمع عليه شرح معاني الآثار (٢) المبيع محلهما قديماً مكان حارة الحلواني اليوم (٣) اسماعيل بن سليمان بن ايداش ابو طاهر الحنفي ابن السلار حدث عن الصائغ هبة الله وعبد الخالق بن أسد وتوفي في ذي القعدة سنة ٩٣٠ هـ شذرات ٥ : ١٣٥ (٤) درب الريحان هو الدرب الذي شرقي البزورية قبيل خان اسعد باشا العظيم وعلى صفه ويعرف اليوم بسوق التين وفيه دار القرآن والحديث التنكية المعروفة في ههرنا بالمدرسة الكاملية نسبة الى الشيخ كامل القصاب .

[بسم الله الرحمن الرحيم وما تفت] ملوا من خير يوف اليكم وانتم (٢) [لا تظلمون] هذا ٠٠٠
 بسر العبد الفقير الى غفران (٣) [ربه الا] امام العلاء [ة] حجة العرب تاج الدين
 الكندي ابو اليمن زيد (٤) [ابن] حسن الكندي تقبل الله منه وأثابه الجنة
 اوقف (٥) ٠٠٠٠ يس تسعة اسهم من اربعة وعشرين سهماً من (٦) ٠٠٠٠
 [ف] ندى والحام والعشرة حوانيت المعروفة (٧) ٠٠٠٠٠ [ف] ندى الحوانيت
 انشاء ابن امراثيل تصرف (٨) في [ر] جب وشعبان ورمضان في ليالي الجمع
 (٩) ٠٠٠٠٠ نسوة وغيره ودار جامعة في درب العجم^(١١) (١٠) ٠٠٠٠
 ٠٠ مع مقرئين يقرؤن في كل ليلة بعد صلاة ٠٠٠ (١١) ٠٠٠٠٠
 صف سبع من القرآن اله [ظليم] فن بدله (١٢) [بعد] ماسمعه فانما اثمه على
 الذين [يبدل] ونه (١٣) وعلى القراء حجرة طباق الزقاق^(١٢) ٠٠٠ (١٤) من
 ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستائة^(١٣)

الكتاب الخاصة : على الجدار الشمالي غربي المقصورة الى جانب الكتابة

الاولى (٧٥ × ٧٣) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير
 ٠٠٠٠٠ الدين (٢) ٠٠٠٠٠ الأمير عز الدين ياقوت ال ٠٠٠٠
 العبدى (٣) رحمه الله جميع السهام الأربعة التي هي السدس شائعاً من
 (٤) ٠٠٠ من ضيا (٥) ٠٠٠٠٠٠ (٦) ٠٠٠٠٠ سبع وخمس [ين] وستائة ٠

وبعد فلا نعلم الزمن الذي اضمحل فيه أمر هذه المقصورة والظاهر من كلام
 عبد الباسط العلموي المتوفى سنة (٩٨١) انها كانت معروفة في عصره ٠ وحينما
 حصل زلزال سنة (١١٧٣) وحصل الخراب في هذه البقعة لم نجد أحداً يشير
 اليها مما يدل على أنها كانت غير معروفة في هذا التاريخ - **محمد احمد دهمان**

(١) ابن أبوشامة في ذيل الروضتين مكان درب العجم بأنه في جيرون وجيرون هي شرق
 باب الجامع الأموي الشرقي وتعرف اليوم بالنوفرة ٠ (٢) هذا السطر ١ بعده ألحق إلحاقاً بخط دقيق
 (٣) توفي تاج الدين الكندي سنة [٦١٣] فتكون هذه الكتابة قد نشت بعد وفاته بـ [٢٦] سنة ٠

الملك الظاهر بيبرس

لا ينتهي هذا العام أيها السادة حتى يكون المجمع العلمي قد انتهى من إصدار عشرين مجلداً من مجلته : تفجرت بناييمها بالأبحاث المختلفة في اللغة وآدابها وما له اتصال بها .

وقد أخذ المجمع بفكر في تنظيم فهرست عام لهذه المجلدات العشرين . يدني ليد المراجع بعيدها ويسهل عليه الرجوع الى ماخي فيها .

وقد أحيت انت أنظم لنفسي فهرستاً يشتمل على بعض ما في هذه المجلدات العشرين من الأبحاث الخاصة : فأحصيت المقالات التي بحثت في الأوضاع الغريبة فوجدتها تبلغ ٣٠ مقالة ونيقاً . ثم أحصيت ما فيها من تراجم الأعيان ومشاهير الرجال فكانت نحو ثمانين ترجمة منها (١٥) للمستشرقين وهناك ترجمة لبوذه معبود الصين . وأخرى لطاغور شاعر الهند . وثلاثة لأحمد باشا الجزائر الوالي التركي المشهور بالظلم في تاريخنا الحديث .

هذا ما وجدته في العشرين مجلداً من تراجم الرجال . أما محاضرات المجمع التي ألقيت في هذه الردهة فربما بلغ عددها في الخمس والعشرين سنة ٢٥ محاضرة . منها محاضرات خاصة بذكر مناقب رجال التاريخ حتى احمد باشا الجزائر نفسه فان له محاضرة مستقلة وُصف فيها بسوء السيرة لكنها أحييت ذكره على كل حال . لا أكاد أصل في إحصائي هذا الى ذكر (الجزائر) حتى أسمع صوتاً من ورائي وعلى بعد عشرين متراً من موقعي هذا .

في هذا الصوت عجبة وارتضاح لكنة وعليه مسحة من جلال الموت ووحشة القبور يقول : أفلقتم راحتي . في هدأة رقدتي . نحواً من خمس وعشرين سنة . وأنا اسمعكم من فوق منبركم هذا تخطبون وتحاضرون . وأحياناً الى الفث من القول تستطردون . ولم أسمعكم قط ذكرت اسمي في كل ما نشرتموه في مجلاتكم أو نوهتم بشيء من أعمالي في محاضراتكم .

أبكون لبوذه الصيفي وطاغور الهندي والجزائر التركي نصيب من اهتمامكم في بجلتكم ومحاضراتكم ولا يكون لجاركم بيبرس البندقداري شيء من ذلك حتى كأن مآثري ذهبت هباء . أو أنني ريدة ملقاة في الفناء لو لم يكن لي من جليل الأعمال إلا أني أكملت ما بدأه نور الدين وصلاح الدين ومهدت الطريق لراينا (فلادون) وبذلك تم جلاء عدوكم عن بلادكم — لكفاني غمراً وعجباً . ولسوء لي أن أوسعكم لوماً وعتباً . أين أنتم من مراعاة جواري . وحسن مجازاتكم لي على حلول داري .

هذا ما تخيت أني اسمعه — أيها السادة — من جارنا الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالح رحمة الله . وقد نجلت يعلم الله منه . وأمرعت إلى تدارك ما قرط منا معشر المجنوعين بخصصته بهذه المحاضرة التي لا حسن فيها سوى براءة ذمتنا وأداء الحق الذي علينا لجارنا .

حقاً أيها السادة إن في إغفالننا ذكر هذا الملك المنقذ بين من نوهنا باسمهم في مجمعاتنا شيئاً من نكران الجميل . وغمط الحق . أو هو ذنب لا يغفره إلا موقفي هذا . وحسن إصفاؤكم إلى ما أسرده على مسامعكم من مآثر الرجل ووصف ما أوتي من جلد وشجاعة وحسن تدبير ولطف سياسة حتى أمكنه جمع كلمة البلاد وزعزعة أركان التغلب عليها وجعله على أوتار الفوز للجلاء عنها .

وقبل الشروع في المحاضرة نقول لجارنا الملك : سمعنا عتبك علينا وسنعمل على إعتابك ما وسعته طاقتنا غير أن امر نشأتك في بلادك حتى حلت بين أظهرنا مما غاب عنا خبره . واختلف الرواة فيه . فهل لك أن تسمعنا الحديث عنه من فمك ثم اتصله بالمدون المنقول إلينا من أخبارك وما كان من محاولتك الملك حتى نلت منه أمنيته . وقضيت نهمتك .

* * *

قال نعم : منبئي صحراء الدشت من قوم رُحل يسمى قيجاق أو قفجاق وتنسب الصحراء إليهم فيقال دشت قفجاق . وبلادهم واقعة وراء جبال القفقاس وهي

تمتد بين البحرين : بحر الخزر من الشرق والبحر الأسود من الغرب (وهي اليوم
تؤلف جزءاً كبيراً من روسيا أوروبا) ومعظم سكانها مسلمون . ومن مدنها كاسان
وأوفا وسراي (ولعلها التي تسمى اليوم استرخان) ومن أنهارها نهر (اتل)
(الذي يسمى اليوم نهر الفولكا) ومن شعوبها القرغيز والبرغال أو البلغار (وهم
البلغار الأقدمون) وكلنا من أصل تنري . وقد ولدت من أبوين قفجاقيين
سنة ٦٢٥ هـ فسمياني (يبيرس) أي الفهد . واتفق ان أغار علينا اخواننا التتر من
أحفاد جنكيز خان وذلك سنة ٦٣٩ هـ فالتجأنا الى اخواننا بلغار بلاد الروسية بعد
الاستئذان من ملكهم (أنس خان) فسمح لنا بدخول بلاده ثم غدر بنا وسبي
من يصلح للسيب منا . وكنت أنا من جملة السبي . وعمرى يومئذ ١٤ سنة . ولا
يشوقني من لذائذ صبوتي في بلادى سوى ركوب الخيل ولحاق طرائد الوحش
عليها وسوى أنى كنت مولعاً بشراب القمّز حتى وكان هذا الشراب سبب موتى
في بلادكم (والقمّز أمها السادة شراب يتخذ من حليب إناث الخيل ^(١))

قال يبيرس : ولا تخطر ببالى حتى التحيل التترى من قومي راكماً
بين ساقى فرسه ممسكاً بأخلافها منهمكاً في احتلابها حتى اذا تجمع هذا الحليب
لدى الأمرة باعوا بعضه وشربوا بعضه وعزلوا شيئاً منه لاتخاذ القمّز . وكانى
أنظر الى عمى وهو متدثر بفروته الثقيلة من جلد الغنم يقي بها البرد . وعلى رأسه
كعكة كثيفة مبطّنة بالفرو وقد أخذ بين يديه زُبْدية كبيرة فوضعا على فمه

(١) لا يخفى أن قها . الاسلام كرهوا أكل لحوم الخيل وشرب ألبانها خشية إقراضها
وهي آلة الجهاد . أما قها . ما وراء النهر المنتشر مذهبهم بين أهل سيبيريا ومنهم القفجاق
قد كرهوا لحوم الخيل المدة للجهاد أما تلك التي تبيع سائمة وترعى قطعاناً كما ترعى البقر والغنم
فلا كراهة في أكل لحومها ولا شرب ألبانها . ويقول الخبزيون أن قبائل سيبيريا ما زالوا الى أيامنا
هذه يربون من الخيل قطعاناً ينتفعون بلحومها وألبانها وتتاجها على نحو ما تفعل بواشيننا . كما أنهم
يتخذون من ألبانها شراب القمّز المعروف قديماً . (والقمّز) بكسر القاف والميم وتشديد الزاي
كما ضبطه مؤرخو الاسلام . أما الانكيز فيلفظونه هكذا (قوميس Kaumiss) ولقوميس
في سيبيريا اليوم مامل يحضر فيها بمقادير كبيرة ويصدر الى الخارج في زجاجات مُمَدّمة كما يفعل
الأوربيون في تصدير أشربتهم ومقدوراتهم (القونسروا) الى بلادنا .

وجعل بكرع وبكرع من شراب القمح وأكون في ناحية انتظر فراغه لأشرب ما فضل عنه من ذلك الشراب اللذيذ .

ثم قال (بيبرس) متمماً حديثه وساقنا النخاسوت الذين اشترونا من بلاد (انس خان) الى سيواس ومنها الى حلب فدمشق . فاشتري العاد الصائغ لكنه أخيراً زهد في ليياض رآه في احدي عيني واحتاج المنصور ملك حماة الى ممالك فنقلني النخاس الى حماة .

وكان الملك المنصور هذا يومئذ صبيهاً وكان اذا اراد شراء رفيق عرضه أولاً على الخاتون الكبرى والدته فأحضروني اليها ومعني رفيق لي فجعلت تنظر اليها من وراء ستار . فأمرت بشراء رفيقي وقالت تخاطب ابنتها المنصور مشيرة إليّ (هذا الأمير لا يكون بينك وبينه معاملة فإن في عينيه شراً لا تحملاً) قال وقد أثارت كلمتها في نفسي هو اجسّ لاذعة مازالت تنمو وتتطور وتسوقني الى طلاب الملك حتى نلتها .

قال واتفق أن كان في حماة يومئذ الأمير أيديكين البندقداري مسجوناً بأمر سيده الملك الصالح أيوب (حفيد من نحن في مدرسته أعني الملك العادل) فبلغه خبري فاشتريني ثم أفرج سيده الملك الصالح عنه فخرجت مع أيديكين من حماة الى مصر وغضب الصالح عليه ثانية فصادره . وكنت أنا في جملة أموال المصادرة وأصبحت من يومئذ (الصالح) أي المنسوب الى الملك الصالح بعد ان كنت (البندقداري) أي المنسوب الى الأمير أيديكين البندقداري وكان عمري يومئذ تسع عشرة سنة .

أقول فيكون بيبرس قضى خمس سنوات وهو ينتقل من بلد الى بلد ومن يد سيد الى يد سيد حتى استقر أخيراً في حوزة الملك الصالح أيوب . فكان نعم المستقر : إذ قد عرف له الملك نجابته وادرك ان الشرّ اللائح في عينيه الذي تشاءمت به الخاتون انما هو خير : إذ لا يستقر ملك في ذلك الزمن إلا به . ولا تعتدل قناة حكم إلا اذا قومت بثقافته : غدر ملك بلغار ببيبرس وبقومه . وتنقله أسيراً رقيقاً في البلاد . وقول الخاتون ان في عينيه شراً لا تحملاً .

ودخوله في جملة الأموال المصادرة التي قد يكون بينها دوابٌ ومتاع — كل ذلك قد لا يوري نار الحماسة في نفس غير نفس بيبرس أما في نفس (الفهد) كما سماه أبوه تلك النفسُ المتمردة الوثابة فإن كل ما ذكرناه قدح فيها زنداً وارياً وأثر فيها تأثير الانتباه واليقظة للوسط الاجتماعي والسيامي الذي كان يعيش فيه : فجعله يعتقد أن حياته لا تستقيم وعيشه لا يطيب . وبغيته لا تنال ما لم يتسلح بأسلحة ذلك العهد : القوة والبطش والدهاء والمكر والانتقام أحياناً . عاش بين ممالك سنده الملك الصالح وكلهم أترك شجعان فرآهم انما يتحدثون عن الملك وأدواته . والعرش وشهواته . وأخبار الملوك من أبناء جنسهم والطرق التي سلكوها . والأساليب التي اتخذوها حتى بلغوا أهدافهم وكان من امماها تنسّم العروش . كان في بيبرس نجابة وشجاعة وكان فيه فطنة وذكاء . وصلابة عود واستعداد لاستعمال أساليب تلك العهود . من حيث يؤدي ذلك إلى الملك .

وكان بين هؤلاء الممالك الكثيري العدد اثنا عشر ملكاً منهم الرق فلم يكن يعرف أمم آبائهم . ومنهم بيبرس جارنا وكان المؤرخون اذا نسبوا هؤلاء الملوك الأرقاء قالوا (فلان ابن عبد الله) إشارة إلى جهالة أصله وكان بيبرس من أبناء عبد الله هؤلاء وقد نظّم بعض الشعراء امماهم بحسب ترتيب تملكهم في بيتين من توقيع المواليا فقال — :

(ايبك) (قُطُر) يعقبو (بيبرس) يا ذا الدين

بعُدو (قلاوون) بعُدو (كَتَفَا) (لاچين)

(بيبرس) (بَرَقوق) بعُدو (شَيْخ) ذو التبيين

(طَطَر) (بَرَسَاي) (جَقَق) صاحب التمكن

ولما جاء بيبرس إلى بلادنا (او نقول بحسب التعبير الحديث إلى الشرق الأدنى) كان السلطان فيها موزعاً بين أولاد صلاح الدين وأخيه العادل : أولاد العادل في مصر ومنهم الصالح أبوب سيمد بيبرس وأولاد صلاح الدين في الشام وكان معظم الساحل وبعض الداخل بيد الصليبيين .

وهناك خلافة ببغداد مهددة بالسقوط في يد التتار . فالبلاد كانت واقعة بين شرين أو عدوين ضارين (التتار) و (الصليبيين) . ويلجأ من جهة آسيا الصغرى التي هي مستطرق الصليبيين أرامنة وروم مسلمون وهم السلاجقة في كيليكيا . وروم مسيحيون وهم البيزنسيون في القسطنطينية . ومن سوء طالع البلاد بأقطارها الثلاثة مصر والشام والعراق أن كان ملوكها المسلمون متشاكسين متدابرين يتربص بعضهم لبعض الدوائر وسنوح الفرص للبطش ، والنزوان على العرش . ولم يبق بعد صلاح الدين واخيه العادل من يجمع كلتهم . ويقف بهم في وجه عدوهم على شاكلة ما فعل صلاح الدين . وقد تنبه الى هذا كله (بيبرس) فكان نعم المدرس تلقاه عن سيده الملك الصالح حفيد الملك العادل . وقد وثق به سيده فجعله قائد فرقة مماليكه . وشهد معه وقعة دياط . الشهيرة التي أسرف فيها ملك فرنسا (لويس التاسع) أو القديس لويس وهو المعروف عند العرب باسم الفرنسي . وصحب بيبرس بعد موت سيده الصالح ابنه الملك المعظم (توران شاه) وكان المعظم هذا شاباً أخرق ميء التدابير . فتآمر ممالك أبيه على قتله وكان أول من علاه بالسيف منهم جارنا وبطل محاضرتنا (الظاهر بيبرس) . وبعد المعظم قامت بأمر الملك شجرة الدر زوجة الملك الصالح . فأنف الممالك سلطانتها عليهم فولوا أحدهم وهو المعز ايبك (سنة ٦٤٨ هـ) وعمر بيبرس يومئذ ٢٣ سنة عندها ثئاب الفهد وتمطى ونهياً للوثوب واستيقظت في نفسه شهوة الملك النائمة وطمع فيه بعد ان رأى انتقاله من أسياده نبي أبواب الى رفاقه وخشداشيدته الممالك . في نفس بيبرس ميل للفتك كما قلنا . وفي عينيه آثار للشر كما قالت الخاتون غير ان وراء ذلك كله عملاً بنتناره وخدمة يقناها وقد رأى أن هذه الخدمة لا يوفيهما حقها إلا هو فمذ تولى الملك رفيقه (المعز ايبك) ترأس هو حزب المعارضة المتطرفة . ووضع مخططها أمام عينيه واخذ في دس الدسائس . ونصب المكابذ . تارة في مصر وطوراً في الشام . وكان يجهز عسكرياً ويصعد به الى مصر فيهزم بيبرس ويقتل من معه من الأُمراء ويرجع الى الشام فيجهز عسكرياً ثانياً . أو دسية ثانية . ولماذا كل هذا ؟ أهو لطمعه في الملك ؟ وفي ما يختلف

به من العظمة وأبهة السلطان يا ترى ؟ أو لطعمه في أن ينال شرف خدمة الاسلام وإنقاذ البلاد من براثن الضاريين التتار والصليبيين ؟ الله يعلم . ولكن من تأمل في أعماله بعد أن تولى الملك رأى في تضاعفها وفي النهج الذي سلكه لإنقاذ البلاد ما يشعر بأنه كان مخلصاً . في ما كان يرتكبه من الشر على حد تعبير الخاتون الأيوبية . واثقاً بأن الله سيغفر له خطاياه على حد تعبير الآية الكريمة (إن الحسنات يذهبن السيئات) . وعلى حد ما رواه احمد بن طولون أمير مصر وهو قوله (حدثني فلان عن فلان عن وهب بن منبه انه قال (اوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل : 'مر' عامة أمتك ان لا تتأسى بالملوك في ارتكاب الكبائر فان للملوك كبائر من الأفعال الجميلة لا يصل اليها غيرهم تحصى بها آثامهم ويمسح بها صدرهم) ١ هـ (راجع ص ٣٣٤) من سيرة ابن طولون اقول ولا يسلم هذا الحديث من نقد وتجريح بل هو من قول ابن منبه وهو غير ثق .

لم يكبد الملك المعز ابيك يستقر على العرش بعد شجرة الدر حتى رفع بيبرس صوته قائلاً : نريد ملكاً من سلالة اسبانا بني ابوب ولا نريد ان يملك علينا رجل من غيرهم . وأدى الأمر أخيراً الى قتل (المعز) فخلفه على العرش ابنه (المنصور) فوقف جارنا بيبرس من الآن موقفه من الأب موقف معارضة ودس وتأليب ثم خلعوا (المنصور) بحجة صغره فتولى بعده المظفر قطز وهو مملوك المعز ابيك المقتول وكان ذلك سنة ٦٥٧ هـ وعمر بيبرس ٣٢ سنة فمظم الخطب على بيبرس وجعل يتزى تزى الفهد في القفص وزاد حقه . واشتد كيداً وأوشك ان يلتهم شوقاً الى الملك أو شوقاً الى الوقت الذي يمكنه فيه إنقاذ البلاد من الخطر المحدق بها . ولا سيما بعد أن بلغه خبر استيلاء (هولاكو) على بغداد وقتله الخليفة (المستعصم) .

وكان بيبرس في زمن (قطز) مقبلاً في دمشق لاجئاً الى ملكها (يوسف صلاح الدين) الثاني وهو من أحفاد صلاح الدين الكبير ثم رأى بيبرس ان مكثه في دمشق لا يجدي به نفعاً . ولا يمكنه من (قطز) وإسقاطه ما لم يكن

مقيماً بجانبه يطالع الأمور عن كثب . فأرسل بيبرس الى قطز يلاينه ويُعاقبه في بعض الشيء ثم استخلفه أن لا يخرجونه اذا جاءه خلف له قطز . فجاء بيبرس الى مصر وانضم الى مماليكها الذين يعملون في خدمة (قطز) ثم شهد معه وقعة (عين جالوت) على مقربة من نابلس وهي الوقعة التي دحر قطز فيها التتار . واستأصل شأفتهم من بلاد الشام . وكان انتصاره هذا عليهم كأنه انتصار على بيبرس وخذلان له في ما يؤمل ويريد . لكنه مع هذا تشدد ونشط الى تدبير مؤامرة على قطز في أثناء إيايه من الشام الى مصر منتصراً فاغتاله وهو بعيد عن المعسكر في لحاق طريدة أرنب . واقدامه على هذا العمل يعد من أكبر آثام بيبرس وأفظع ما ارتكبه من الجرائم . ولا سيما ان (قطزاً) كان ممدحاً . حسن السيرة . ولم يكن كالمعظم توران شاه الذي كان بيبرس قتله قبله نقول هذا ولا نبالي جارنا الذي بُنِصتُ اليه . وقد يفض من مماع قولنا . لأن التاريخ بقول كتبه ثم لا يستعيب . ولا يبالي بن غضب إلا أن يعود التاريخ نفسه فيعتذر له بأن هذا القدر انما تعلمه بيبرس من إخوانه ومن ملوك زمانه (فلا تحسبوا هندا لها القدر وحدها سحابة نفس كل غانية هند)

(وإن نفس لا نفس ملك بلغار) أنس خان (الذي غدر بيبرس وقومه فشرده به في البلاد . وصبره رفيقاً تتداوله أيدي الأسياد) .

وبعد ان قتل بيبرس (الملك قطزاً) أقبل مع رفاقه الى الدهليز السلطاني (أي المعسكر) وفيه أمراء الجيش بفتارون رجوع الملك من طرد الأرنب . فهتف الأتابك (أقطاي) (والأتابك لقب بمنزلة وزير الدولة اليوم) قائلاً من قتله منكم ؟ فقال بيبرس : أنا . فقال الأتابك (يا خَوَند اجلس على مرتبة السلطان) وكان ذلك سنة ٦٥٨ هـ وعمر بيبرس ٣١ سنة .

وأخذ من يومئذ يفكر في جمع كلمة ملوك الشام والحجاز وحملهم على الخضوع له بمختلف الوسائل لئتمكن بذلك من إتمام ما بداه الملكان (نور الدين) و (صلاح الدين) من طرد الصليبيين وتطهير البلاد من معتهم . المغربي

رأس يحيى ورأس زكريا

المشهور على ألسنة الناس في حلب أن الضريح العظيم الذي في جامعها الأعظم فيه جثمان زكريا وقد وصل بنا البحث في تاريخ حلب إلى أن الموجود في جامع حلب هو قطعة من رأس يحيى أو رأس أبيه زكريا عليهما السلام . واليك البيان : قال في الدر المنتخب المنسوب لابن الشحنة (ص ٧٤) وذكر ابن العديمي (الحلبي) في تاريخه في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ظهر بعلبك في حجر منقور رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فنقل منها إلى حمص ثم منها إلى مدينة حلب في هذه السنة ودفن بهذا المقام (مقام إبراهيم عليه السلام الذي في قلعة حلب) في جرن من الرخام الأبيض ووضع في خزانة إلى جانب المحراب واغلقت ووضع عليها ستر يصونها . وذكر الكمال بن العديم في تاريخه أن الملك العادل نور الدين ابن عماد الدين زنكي جدد عمارته . وفي سنة تسع وستماية في أيام الملك الظاهر غيث الدين غازي احترق بنار وقعت فيه وما كان من الخيم والسلاح وآلات الحرب شيء كثير واحترق الجميع ولم يسلم من الحريق إلا الجرن المذكور ودفع الله عنه سبحانه النار وهذا مما يدل على أن الرأس الذي وضع فيه رأس يحيى عليه السلام لأن النار لم تصل إليه وحمي منها . وقال كمال الدين (ابن العديم) أيضاً أن أبا الحسن علي بن أبي بكر الهروي ^(١) أخبره وقال أن بقلعة حلب في مقام إبراهيم عليه السلام صندوقاً فيه قطعة من رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ظهر في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ١٥٠ .

وفي كتاب الصلصلة في الزلزلة للجلال السيوطي . في سنة ٤٣٤ زلزلت تدمر وبلبك ومات تحت الردم معظم أهل تدمر ١٥٠ . أقول يظهر أن هذا هو السبب في ظهور رأس يحيى عليه السلام في بعلبك .

(١) وفاته سنة ٦١١ وهو صاحب كتاب الاشارات إلى معرفة الزبارات .

سبب نقل هذا الصندوق الى الجامع الأعظم في حلب

قال في الدر المنجيب (ص ٧٦) ما ملخصه : لما تسلم التتر قلعة حلب سنة ثمان وخمسين وستماية اخرجوها واخرجوا الجامع (الذي فيه المقام) ثم احرقوا المقامين (مقام ابراهيم ومقام الخضر على ما يقال) حريقاً لا يمكن جبره وذلك في احد الربيعين من سنة تسع وخمسين وستماية .

ولما احرق المقام الذي هو الجامع عمده سيف الدولة ابو بكر بن ايليا الشحنة بالقلعة المذكورة والناظر على الدخائر وشرف الدين ابو حامد بن النجيب الدمشقي الأصل الحلبي المولد الى رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فنقلاه من القلعة الى المسجد الجامع في حلب ودفناه غرب المنبر وقيل شرقيه (وهو الصواب) وعمل له مقصورة بهويزار ٥١ .

وفي الجزء الأول من تاريخنا (اعلام النبلاء ص ٢٩٥) نقلاً عن هامش تجارب الأمم نقلاً عن صاحب تاريخ الاسلام (الذهبي) في حوادث سنة ٣٥٧ في هذه السنة في ذي القعدة اقبل عظيم الروم تقفور بجيوش الى الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية (الى ان قال) ثم سار الى كفرطاب وشيزر ثم الى حماة وحمص فخرج من بقى بها فأمنهم ودخلها فصلى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا واحرق الجامع ثم سار الى عرقه الخ . فهذه الرواية تفيد ان رأس يحيى كان في حمص ولعل تقفور نقله الى بعلبك ثم ظهر فيها على أثر الزلزلة التي حصلت فيها سنة ٤٣٤ كما تقدم او ان هذه الرواية لأصل لها .

قال ابن الوردي في ثمة تاريخ ابي الفدا في حوادث سنة ٧٣٨ في هذه السنة في صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن الدقاق الدمشقي ناظر الوقف في حلب . وفي ايام نظره فتح الباب المسدود الذي في الجامع شرقي المحراب الكبير لانه سمع ان بالمكان المذكور رأس زكريا النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم فارتاب في ذلك فأقدم على فتح الباب المذكور بعد ان نهي عن ذلك فوجد باباً عليه تأشير رخام ايض ووجد في ذلك تابوت رخام ايض فوقه رخامة بيضاء

مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فاذا فيها بعض جمجمة^(١) فهرب الحاضرون هيباً لها ثم رد التابوت وعليه غطاؤه الى موضعه وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف العزيز على الباب وما انجح الناظر المذكور بعد هذه الحركة وابتلي بالصرع الى ان عض لسانه فقطعه ومات نسأل الله ان يلهمنا حسن الأدب ١٥١ .

نوسيع تلك الخزانة الى حجرة كبيرة وضريح عظيم

وذلك في سنة ١١٢٠ وهو ما عليه الآن

جاء في تاريخنا (اعلام النبلاء) في حوادث سنة ١١١٩ في هذه السنة ولي حلب عبيد باشا . وجاء في حوادث سنة ١١٢٠ قال قاضي حلب عبد الرحمن ابن مصطفى الكبير الذي تولى القضاء فيها هذه السنة في آخر رسالة له ذكر فيها نبذة من تاريخ حلب أغلبها مما يتعلق بالجامع الكبير . وفي زماننا هذا وهو زمان السلطان احمد خان بن السلطان محمد خان امر الوزير الأعظم الصدر علي باشا في زمان حكومة الفقير بتوسيع المرقد المقدس فشرعنا في تنفيذ أمره في اليوم الرابع من شعبان سنة عشرين ومائة والف وهدم الحائط الشرقي (أي شرقي المنبر) وهو محل المقام ووراء الصندوق الذي هو ستر جلالة من قديم الأيام إذ ظهر هذا الجرن بين الحائط المرئي والحائط القديم وهو من الرخام الأبيض فلما أخذنا في حمله فاح منه رائحة طيبة أذكرى من المسك لخملائنا بالنسليم ووضعناه في خزانة واحضر أكثر من ثلاثين شخصاً من حفاظ القرآن الكريم وصاروا يقرؤون عنده ويهللون ولازموا المكان ليلاً ونهاراً الى ان تم ذلك المقام . ولما كان يوم الجمعة قبل العصر حادي عشر ذلك الشهر من السنة المرقومة اجتمعنا مع الوالي وهو الدستور المكرم حضرة عبيد باشا والعلماء والأعيان ورفعنا الجرن المبارك مع الوزير والعلماء والصلحاء ووضعناه في جرن أكبر منه موضوع فوق بناء مؤسس مرتفع عن الأرض ووضعنا فوقه من الرخام والتراب الذي كان معه من الأزمئة الماضية وغطيناه بالرخام والتراب والقراء يقرؤون القرآن

(١) هذا يؤيد ما جاء عن الهروي ان الوجود في هذا الصندوق هو بعض الرأس .

ويطلبون الرحمة والرضوان والحمد لله على ما انعم من هذه النعم الجليلة والبركة
الجليلة التي لم تنسرها الا لآحاد من الناس اه باختصار وقال بعد ذلك وهو مما
يجب ان لا نختصره . وصلاة على نبينا الاكمل وعلى صاحب هذا المقام الأجل
سيدنا ابي الحصور زكريا عليه وعلى نبينا أفضل التحية .

وفي ترجمة مفتي حلب علي بن اسد الله المتوفى سنة ١١٣ (ج ٦ ص ٤٥٨)
وتولى افتاء الحنفية بحلب مدة خمس عشرة سنة الى ان مات وكان اذ ذاك
متولياً على جامع بني أمية بحلب . وفي ايام توليته عليه امر بمرمات الجامع المذكور
ومرمات بعض حيطانه فظهر من احد الحيطان لما قشروا عنه الكس رائحة تفوق
المسك والعنبر واذا فيه صندوق من المرمر مطبق ملحوم بالرصاص مكتوب عليه
هذا عضو من أعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام فاتخذوا له هناك في
ناحية القبلة في حجرة قبراً في مكانه الآن وحمل الصندوق اليه جميع العلماء
والصالحين بالتعظيم والتبجيل والتوقير والتكبير وذلك سنة عشرين ومائة والفاه
وفي تلك المدة كان مقبلاً في حلب شاعراً كبيراً من شعراء الأتراك يعرف بالنابلي
فنظم قصيدة غراء تركية في ٥٤ بيتاً وهي مذكورة في ديوانه المطبوع
(ص ٧٩ و ٨٠) ذكر فيها ظهور هذا الصندوق وبناء هذا الضريح ووضع هذا الصندوق
فيه وما حصل وقتئذ ترجم لنا هذه القصيدة نثراً بعض فضلاء الأكراد العارفين
باللغتين العربية والتركية الا بعض ابيات منها متعلقة بالمدح والدعاء لاسلطان
مما هو خارج عما نحن فيه وهي لا تخرج عما تقدم مما ذكرناه عن قاضي ومنفي
حلب الا أنه قال ان ذلك كان في السابع عشر من شعبان من سنة ١١٢٠
ولا ادري ايها اصح والخطب سهل .

وصف الحضرة النبوية الحاضر

وصف الحضرة النبوية زميلنا وصديقنا الشيخ كامل الغزي رحمه الله في تاريخه
نهر الذهب (ج ٢ ص ٢٤٤) فاكثفينا به . قال : محلها بين العضاة العاشرة والحادية
عشرة من الصف الأول (شرقي الحراب) في حجرة مربعة تبلغ ٤ اذرع في مثلها

تقريباً يصعد إليها من أرض القبيلة بدرجة واحدة سقفها قبة لها على سطح الجامع كوات بشبكات من الحديد . وفي قاعدة القبة شبكة كالسقف مفتوحة من من النحاس بعيون مربعة تبلغ فتحة واحدتها ثلاثة قراريط في مثلها ترتفع عن أرض الحجرة نحو ثمانية اذرع وجدران الحجرة الثلاثة التي هي الغربي والشرقي والجنوبي المقابل وجه المصلي ظاهرتها من أرض الحجرة الى الشبكة المذكورة مبنية بأجل أنواع الخزف المعروف بالقاشاني وباب هذه الحجرة وهي الجهة الرابعة منها قنطرة مشادة عالية حجارتها سود وصفر محمولة على عمودين عظيمين (من الرخام الأصفر) وارتفاعها من ختمها الى أرض القبيلة ثمانية اذرع في عرض أربعة اذرع وهذه القنطرة العظيمة مع العمودين المحمولة عليها لها غلق يستوعبها من أرض الحجرة الى ختم القنطرة من نحاس أصفر مشبك ببعضه على شكل مربع وهو من رأس العمودين الى أرض الحجرة ذو مصراعين يفتح ويغلق وسعة عيون شبكاته قيراطان في مثلها . ومن رأس العمودين الى ختم القنطرة قطعة واحدة لا تفتح ولا تغلق وسعة عيون شبكاته قيراط واحد في مثله . وفي جانب كل من العمودين المذكورين لمعة ظاهرتها من الخزف القاشاني المذكور مكتوب على زناز شبكة الباب شعر توكي لثاني الشاعر المشهور

قال في نهر الذهب : أما صندوق الجرن الشريف فهو في وسط الحجرة من الخشب على صفة ضريح عليه كسوة من مخمل مزركش بالقصب الفضي مكتوب فيه بعض سورة مريم . وهذه الكسوة أنعم بها المرحوم السلطان عبد العزيز خان سنة ١٢٩١ وكان قبلها كسوة سرقت قديمة بالية وضعت سنة ١٢٣٢ على أثر كسوة سرقت في السنة المذكورة . وهذه الكسوة التي هي قبل الكسوة الحاضرة ارسلت الى استانبول ووضعت هناك في محل الآثار القديمة . وعلى هذه الكسوة الجديدة فوق ستام الضريح عدة شالات ثمينة عجمية وهندية . (ثم قال) ويوجد هناك عشرة قناديل فضة صغار وقنديلان كبيران من الفضة وقنديل ذهب وشعدان فضة وققم ومنجرة فضة وغير ذلك من البلور والسجاجدات والبقق والشالات ١٥ .

مواقفه المؤرخون عن مقتل يحيى ومطن قبره وقبر أبيه زكريا عليهما السلام

في عزائس المجالس للشعالي بعد كلام طويل بين فيه سبب مقتله . قتل وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود وأخذ رأسه .

وفي معجم البلدان في الكلام على دمشق . والمسجد الصغير الذي خلف جيرون يقال ان يحيى بن زكريا عليهما السلام قتل هناك .

وفي الجزء الرابع من صبح الأعشى ص ٩٦ وقد ورد ان المسيح عليه السلام ينزل على المنارة الشرقية ويقال ان القبة التي فيها المحراب لم تزل معبداً لا ابتداء عمارتها والى آخر الوقت بناها الصابئة معبداً ثم صار الى اليونانيين فكانوا يعظمون فيها دينهم ثم انتقل الى اليهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام ونصب رأسه على باب جيرون من أبوابه فأصابته بركته ثم صار الى النصارى فجعلتها كنيسة ثم افتتح المسلمون دمشق فاتخذوه جامعاً وعلق رأس الحسين عليه السلام عند قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا الى ان جددته الوليد . ويقال ان رأس يحيى عليه السلام مدفون به . وبه مصحف عثمان الذي وجه به الى الشام .

وقال في المعجم في الكلام على جامع دمشق (ص ٨٠) وبالجامع رأس يحيى بن زكريا عليه السلام وفيه في (ج ٥ ص ٢٩) في الكلام على سبسطية ان سبسطية بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان . وبها قبر زكريا ويحيى ابن زكريا عليهما السلام وجماعة من الأنبياء والصديقين وهي من أعمال نابلس . وفي مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ (ج ١ ص ١٨٨)

قال احمد بن ابراهيم الغساني حدثنا ابي عن أبيه عن زبير بن واقد قال وكنتي الوليد على العمال في بناء مسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك فلما كان الليل وافى والشموع تزهى بين يديه فنزل واذا كنيسة لطيفة ثلاثية اذرع في ثلاثة واذا فيها صندوق فاذا فيه سفت وفي السفت رأس يحيى بن زكريا فأمر به الوليد فرد الى المكان . وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة

فجعل عليه عمود مسقط الرأس وفيه (في ص ٢٢٠) قبر يحيى وزكريا . يقال انهما بسبسطية . وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد الخ ما تقدم وزاد بعد قوله وفي السقط رأس يحيى بن زكريا : مكتوباً عليه هذا رأس يحيى بن زكريا الخ ما تقدم ثم قال قال زيد بن واقد رأيت رأس يحيى بن زكريا وعليه البشرة والشعر على رأسه لم يتغير . وقال القاسم بن عثمان الجوعي سمعت الوليد بن مسلم وسئل أين بلغك رأس يحيى بن زكريا قال بلغني انه كتم وأشار بيده نحو العمود المسقط الرابع من الركن الشرقي . وقال هشام ابن عمار حدثنا محمد بن شعيب قال دخلت مع شداد بن عبد الله من باب الدرج فقال لي : ترى ها هنا كتابة بالرومية قلت نعم . فصلى ركعتين وقال ها هنا رأس يحيى بن زكريا . وروى القاسم الجوعي عن الوليد بن مسلم انه سأل الأوزاعي . أين بلغك رأس يحيى بن زكريا . قال في العمود الرابع المسقط اهـ .

ونحو ذلك في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (ج ٩ ص ١٥٦) وزاد فيه وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد ، قال حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من الليطة القبلية الشرقية التي عند مجلس بحيلة فوضع تحت عمود الكاسة اهـ وفي أوائل الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المتوفى سنة ١١٤٣ ثم مرنا فررنا في الطريق على قرية سبسطية وبعضهم يقول باسطين بباء بعدها نون وهي فلسطين المشهورة وذكر الهروي في زياراته قال سبطين هي فلسطين بها بدن يحيى بن زكريا عليهما السلام وقبر امه وقبر اليسع .

بالمخص مما تقدم

ان مؤرخي حلب المتقدمين بعضهم يقول وهم الأكثر ان في جامعها رأس يحيى والهروي منهم يقول قطعة من رأسه ولم يقل لنا احد منهم ان فيه زكريا أو رأسه وابن الوردي المتوفى بحلب سنة ٧٤٩ يقول لنا انه رأس زكريا عليه السلام . وثلاثة متعاصرون وهم مفتي حلب علي بن اسد الله وقاضيه عبد الرحمن الكبير

والشاعر نابي التركي الذين كانوا وقت توسيع الخزانة الى الحجرة الحاضرة سنة ١١٢٠ هـ يقولون انه رأس زكريا أو عضو من اعضاءه والقلقشندي المصري مؤلف صبح الأعشى وياقوت الحموي المتوفى بحلب وابن فضل الله العمري الدمشقي والحافظ ابن كثير الدمشقي يقولون ان الموجود بجامع دمشق هو رأس يحيى عليه السلام وهنا كما ترى قد تعارضت الأخبار فأما الصحيح ويمكن الجمع بينها ان يقال ان قطعة من رأسه بجامع دمشق وقطعة منه بجامع حلب كما أفصح بذلك الهروي وكما قال ابن الوردي ان في الصندوق بعض جمجمة .

والتعارض باق بين مؤرخي حلب الأقدمين القائلين ان الموجود بحلب هو رأس يحيى وبين المتأخرين منهم القائلين انه رأس زكريا . وعلى كل لا يخلو جامع حلب من اثر نبوي هو اما قطعة من رأس يحيى او رأس ابيه زكريا عليها السلام . ولا يوصلنا الى الصحة ولا يوقفنا على الحقيقة الا الكشف على الصندوق وقراءة ما كتب عليه بدقة . وهل هذا متيسر او متعسر ندع الجواب عنه لغيرنا .

وصاحب المعجم في الكلام على سبسطية يقول ان بها قبر يحيى وزكريا عليها السلام بدون تفرقة بين رأسها وبدنها . والنابلسي يقول لنا في رحلته ان بها بدن يحيى ولم يذكر زكريا فبقي مكان جثثانه مجهولاً ولعله لعلمه ان في دمشق رأس يحيى وهو مما لا خلاف فيه عند مؤرخي دمشق وأهاليها ذهب الى ان الموجود في سبسطية هو بدنه دفناً للتعارض والله اعلم .

محمد راقب الطباخ

(حلب)

ضرب المحوطة على جميع الغوطة
المحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي ر.م.م. الله
نشرها نشرًا جديدًا وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس
(القسم الاول)

فاتحة :

المخطوط الذي تقدمه اليوم لقراء العربية هو رسالة لطيفة للعالم المؤرخ ابن طولون الدمشقي وهذه الرسالة شأن لما تضمنت من معلومات مهمة عن قرى الغوطة في القرن العاشر، فإنها تسرد أسماء تلك القرى، وفيها ما هو مجهول في أيامنا، كما أن منها ما لا نجده في غيرها من الرسائل والكتب التي بحثت - عرضاً - عن الغوطة وقراها، على أن المؤلف ربما خلط بين قرى الغوطة وقرى المرج كما لاحظ ذلك استاذنا محمد كرد علي بك في محاضراته عن الغوطة، ولكن هذا لا يحط من قيمة الرسالة ولا يجعلنا نشك في علم ابن طولون وإنما نعتقد أنه كان في زمنه داخلًا في الغوطة فإن للأراضي والبقاع تطورات وأعمارًا كما لبني الإنسان وللمدن، فإذا عد ابن طولون قرية من الغوطة وهي اليوم من قرى المرج فما ينبغي لنا انتقاده^(١). على أنه ربما ذكر بعض القرى وقال في آخر كلامه عنها : وإنما من حساب قرى المرج، كما ستري ذلك. ونحن في الذيل الذي سنعقب به على ما قال ابن طولون سنذكر بعض قرى المرج لقربها من الغوطة قريبًا يجعل بعض الناس يعدونها منها. والرسالة التي نشرها كان نشرها السيد حبيب الزيات في الخزانة الشرقية ج ٣٩/١ ولكنه لم يعلق عليها بل حذف منها الأسانيد وما نعرف

(١) أدخل ابن طولون في رسالته عن الغوطة سبع عشرة قرية من المرج وكان الأولى أن لا تدمج فيها وهي: بيت نايم، البرية، تل الشعير، تل الذهب، تل الكردي، الجرباء، حرستا، القنيطرة، حزرما، حران، الجديدة، الدوير، القصير، تيسا، الرعيضة، السويداء، المادة، عذراء. (المجمع العلمي العربي)

أحد أقبل ابن طولون كتب في الغوطة رسالة خاصة كما لا نعرف أحداً من المحدثين عني بها على الرغم من مكانتها الكبرى في القديم والحديث اللهم إلا بحث أستاذنا الجليل محمد كرد علي بك الذي كان القاه في راديو الشرق . ثم التي ثلاث محاضرات في قاعة المجمع العلمي بدمشق كان لها أحسن الأثر في نفوس الشاميين لأنهم تعرفوا بمحاضراته هذه إلى لغة طبية عن تاريخ الغوطة تلك البقعة الحصينة التي ينعمون بخيراتها وبتفياؤات ظلالها ، ومن عني بالغوطة من المتأخرين المسيو دوسو فقد كتب عنها فصلاً مطولاً في كتابه طبوغرافية سورية التاريخية في القديم والعصور الوسطى . ومن عني بها أيضاً المسيو تريس فقد كتب عنها مقالاً مطولاً درس فيه الري وأنظّمته في الغوطة ونشره في مجلة الدراسات الإسلامية بباريس . وهناك معلومات مثيرة في الكتب عن الغوطة رجعنا إليها في تصحيح مخطوطتنا التي نشرها الآن أما المراجع العربية التي رجعنا إليها فهي :

- كتاب الأعلام النفيسة لابن رسته طبع مطبعة بريل بليدن في سنة ١٨٩١
- كتاب البلدان لابن الفقيه طبع مطبعة بريل بليدن في سنة ١٣٠٢
- تاريخ دمشق لابن عساكر نشره وخصه عبد القادر بدران طبع في دمشق
- المسالك والممالك لابن خرداذبه طبع بمطبعة بريل بليدن في سنة ١٣٠٦
- معجم البلدان لياقوت الحموي
- مناداة الأطلال ومسامرة الخيال للشيخ عبد القادر بدران مصور بدائرة الأوقاف الإسلامية عن مخطوطة المكتبة التيمورية

رسالة الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون نشرت بعناية مكتبة القدسي
والبيدر بمطبعة الترقى سنة ١٣٤٨

رسالة المعزة فيما قيل في المازة لمحمد بن طولون نشرت بعناية مكتبة القدسي
والبيدر بمطبعة الترقى سنة ١٣٤٨

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : مقالة الغوطة للأستاذ محمد كرد علي
المجلد العاشر ج ٦٤٥٤٦٣

وأما المراجع الأجنبية فهي :
كتاب جهان نما لكاتب چلبى التركى (بالتركية)
(تقويم سوربة) (بالتركية)

Le Strange : Palestine under the Moslems London 1890
Sauvare: Descriptions des Damas Journal Asiat 1894 I ,250 ,
283 . II . 242 , 460 . 1895. I 269, 377. II 221, 409, 1896. I 185, 369
والخطوط الذي نشره هنا مأخوذ عن النسخة الفوطوغرافية المحفوظة بمكتبة
المجمع العلمي العربي بدمشق ورقها (٢) وهي منقولة عن مكتبة جامعة ليدن
[Bibliothèque de l'Université de Leyde . M s . arabe ; 1862
Catal . Cadicum arabicorum II p. 10 N°814]
وها نحن اولاء ننشر في هذا العدد نص الرسالة وفي العدد الآتي ننشر التعليقات .

بسم الله الرحمن الرحيم

[اظ] سبحان العظيم العليم المحيط علمه بكل قاصٍ وداني ، الباسط حلمه على
كل خاطيٍّ وجاني ، فن عظم من خلقه فهو في قبضته وعظيم قدره ذليلٌ
متواني ، هو الأول ماله ثاني ، وهو الآخر وكل ما سواه فاني ، العرش
يقول سبحان من حمل عن الحملة أركاني ، والكرسي يقول سبحان من ثبت
قوائمي وأحسن بنياني ، والسحوات تقول سبحان من هذب بوحدانيته جميع
سكاني ، والفلك يقول سبحان مدبري في دوراني ، والسحاب يقول سبحان
من جعل بين السماء والأرض مكاني ، والريح يقول سبحان من أجبراني ،
والجبال تقول سبحان من أرساني ، والأرض تقول سبحان من على تيار الماء
دحاني ، والأشجار تقول سبحان من يسمع جريان الماء في أغصاني ، والزهر
يقول سبحان من فتح كمي وغير ألواني ، والفواكه تقول سبحان من أبنع
بين طعمي : هذا حامض وهذا حلو ومن ماء واحد سقاني ، والطير يقول
سبحان من أطلق له بالجد لساني ، والبعوض تقول سبحان من يسمع حسَّ خفقا

أجنحتي عند طيراني ، والنمل تقول سبحان من يرزقني على ضعفني وفي الليل
المظلم يراني ، والليل يقول سبحان من سترني والظلام غشاني ، والنهار يقول
سبحان من أظهرني وبالنور كساني ، والجنة تقول سبحان من وعد المتقين
بنعيمي وحوري وولداي ، والنار تقول سبحان من توعد المجرمين بعذابي
ونيرانه ، ومحمد ﷺ يقول سبحان من شفعتني في أمتي وأرضاني صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً ينجيان من النيران . وبعد فهذا تعليق محبته
« بضرب الحوطة على جميع الغوطة ^(١) » على حسب الامكان وبالله المستعان .

قال ابو عبد الله بن شداد في كتابه الأغلاق الخطيرة في ذكر دمشق :
أما صفتها فانها من أحسن بلاد الشام مكاناً ، وأعدلها هواءً ، وأطيبها نضراً ،
وأكثرها مياهاً ، وأغزرها فواكه ، وأوفرها مالا ، وأكثرها جنوداً ولها ناحية
تعرف بالغوطة طولها مرحلتان في عرض مرحلة وتشتمل هذه الغوطة
على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين
كرماً وهي من شرقي دمشق وشمالها بها ضياع ^(٢) كالمدن مثل المزنة وداريا
وحرسنا ودمر وبلاس وبيت لاهة وعقربا وبها كل ما جوامع انتهى . قلت
أخبرنا أبو البقاء محمد بن العباد العمري بقراءتي عليه أنبأنا الشهاب أحمد بن
علي بن حجي أنبأنا أبو الفرج عبد الرحمن بن احمد الغزي وأبو المعالي عبد الله
ابن عمر الأزهرى بقراءتي عليهما وأنبأنا به ابو المفاخر عبد القادر بن محمد
الدمشقي قراءة عليه قال هو وشيخنا الأول أنبأنا الزين عبد الرحمن [بن خليل ،
[٢٠] أنبأنا علي بن مطرفين أنبأنا الجمال عبد الله بن محمد الأزهرى أنبأنا
ابو عبد الله محمد بن محمد الفارقي وقال الغزي أنبأنا القطب عبد الكريم بن
عبد النور الحلبي قال أنبأنا ابو بكر محمد بن اسماعيل بن الأتنامي أنبأنا
ابو محمد هبة الله بن الخضر بن طادوس أنبأنا ابو الفضائل ناصر بن محمود القرشي
أنبأنا ابو الحسن علي بن احمد التميمي المالكي أنبأنا ابو الحسن علي بن محمد
الرعي المالكي أنبأنا تمام بن محمد حدثنا القاضي ابو الحسن احمد بن سليمان

ابن حذلم حدثنا ابو زرعة حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى بن حمزة عن
ابن جابر عن زيد بن ارطاة عن جبير بن نفيير عن ابي الدرداء قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : 'فسطاط' المسلمين يوم الملحمة بالغوطة
الى جانب مدينة يقال لها دمشق من مدائن الشام . وبه الى تمام انبأنا ابو بكر
احمد بن عبد الله القرشي وابو بكر محمد بن ابراهيم البزاز قال حدثنا ابو قعين
امام عيل بن محمد العذري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا مسلمة بن
علي حدثنا ابو سعيد الأسدي حدثنا سليم بن عامر عن ابي امامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية قوله تعالى : [وآتيناهما الى ربوة
ذات قرارٍ ومعين] . ثم قال هل تدرّون أين هي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم
قال : هي بالشام بأرض يقال لها الغوطة بها مدينة يقال لها دمشق هي خير
مدائن الشام . وبه إليه حدثنا ابو الحارث احمد بن محمد بن عمار عن الوليد
ابن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس أنه قال :
وُلد ابراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قرية يقال لها بَرَزَةُ في جبل
يقال له قاسيون . وبه الى الربيعي أنبأنا ابو محمد عبد الله بن احمد العيسى
أنبأنا ابو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله الجبلي حدثنا يزيد بن محمد بن
عبد الصمد حدثنا ابو البيان الحكم بن نافع حدثنا صفوان بن عمر عن
عبد الرحمن بن جبير عن ابيه عن عوف ^(١) بن مالك قال : هذنة تكون
بينكم وبين بني الأصفر فيسيرون اليكم على ثمانين رابة تحت كل رابة
اثنا عشر ألفاً فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة
يقال لها دمشق . وبه اليه أنبأنا ابو محمد عبد الرحمن بن عثمان حدثنا ابو الحسن
ابن حبيب حدثنا ابو بكر بن الأشعث حدثنا ابو نوبة حدثنا ابن المهاجر
عن ابي حليس ، قال : أشرف عيسى بن مريم عليه السلام على الغوطة فقال :
يا غوطة إن عجز الغني ان يجمع منك كنزاً لم يعجز المسكين ان يشبع

منك خبزاً . قلت الحاصل أن القوطة مدينتها دمشق الكبرى وقد أفرد لها تاريخاً معظماً الحافظ أبو الحسن بن عساكر ودونها القرى وهالك أعيانها ما وقعت عليه منها مرتباً لها على حروف الهجاء .

أرزونا^(٦) — وهي قرية تحت القابون التحتاني وهي متوسطة لها جامع ومأذنة وشربها من نهر ثورا وهي أملاك لناس مختلفين وقع بها تحديث بأجزاء وخرج منها جماعة من العلماء وأهل الحديث .

الأقريس — وهي قرية بقرب جسرين وهي متوسطة وشربها من نهر داعية .
[٢ ظ] أرزة* — وهي قرية أدركت بعض [[بيوت بها والى الآن بها بيت بجينة وأدركت جامعها بمأذنة صومعة عند قبور الشهداء ولها حكر^(٤) ديوان الجيش وشربها من نهر تور .

البويضة — وهي بلدة كبيرة قبلي دمشق بجامع ومأذنة وكان لنا بها عشر .
البحدلية^(٥) — وهي قرية جامعة تحت بلدا وبها جامع وهي وقف على بیمارستان الصالحية القيحوي .

بيت رانس*^(٥) — وهي قرية تحت مدينة دمشق من جهة القبلي .
بيت سمح^(٦) — وهي قرية بالقرب من عقربا وبها قطع^(٤) وقف على جماعة الخنابلة .

بيت الآلهة — هي حارة من دمشق شرقيها وبها جامع مبارك أدركت خطيبه صاحبنا الفاضل بدر الدين حسن البيت ليدي الخنيلي والآن قد خرب وللناس فيه اعتقاد كثير وعليها بساتين وأراضي كثيرة وقع بها حديث كثير وآخر من حدث بها شيخنا الحيوي النعيمي وخرج منها جماعة من أهل الحديث^(٧) .
بيت أبيات* — حارة كانت غربي الصالحية وقد خربت الحارة ولم يبق غير مسجد والطاحون ثم خرب المسجد ووقع بها حديث كثير وفيها كان جماعة من أهل الحديث^(٨) .

برزة — وهي قرية شرقي الصالحية في الجبل بها مقام إبراهيم يقال إنه ولد فيه وقيل بل اختبأ فيه وقيل بل صلى فيه وقد أفردت لما ورد فيه

جزء^(٩) وماؤها من أحسن مياه دمشق يأتي من وادي الجرن^(١٠) «اعلمها حرنه (المجمع العلمي العربي)» واليه ينسب نوع من التين الشتوي هو أجود جنس منه ونوع من السفرجل هو من أجود أنواعه وقع بها حديث كثير من جماعة من الحفاظ وغيرهم وقد حدثت بها مراراً وكان بها من له مماع فيه وأمامة بجامعها وله مأذنة^(١١).

بالا - وهي قرية تحت النخلة وهي قرية حسنة كثيرة المغل وفيها حصة وقف على الجوزية وقف على الخنابلة إما ربع أو نحوه^(١٢).
برنابا* : وهي قرية خراب فوق سقبا وقف^(١٣) (هي أرض ضمت الى عرسل . المجمع العلمي العربي) .

بيت نايم* - وهي قرية تحت جسرين كبيرة وقف وهي من جملة حساب المرج وهي أول قراه^(١٤).

بيت سوا - وهي قرية متوسطة وقع بها تحديث ببعض الأجزاء^(١٥).
البرية* - وهي قرية في المرج الشرقي وهي حصص غالبها وقف ومنها حصة موقوفة على جامع الخنابلة.

تل الشعير* - وهي قرية تحت المجدلية خربة وقف على المدرسة القيمرية^(١٦).
تل الذهب* - وهي كانت قرية وهي الآن مزرعة ملاصقة لبيت نايم وأهلها يزرعونها وهي وقف وقع بها حديث يسير^(١٧).

تل كردي - وهي قرية من قرى المرج لم اعرف حالها^(١٨).
جرمانا - وهي قرية قبلي دمشق وأهلها تيامنة وهذا عجيب من كونهم في هذه [القرية من] الغوطة فإن أهلها جميعهم من أهل السنة^(١٩).

جوب* - وهي قرية شرقي مدينة دمشق لليهود وبها ثم جماعة من المسلمين وبها مسجد يقال له مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقع بها حديث كثير ومنها جماعة من أهل الحديث^(٢٠).

[٣ و] - رجسرين - وهي قرية تحت سقبا [وكانت بلدة كبيرة إلا أنها تلاشى أمرها وهي وقف وشرها من نهر داعية وقع بها حديث في فوائد الرازي^(٢١).

جرباً - وهي قرية متوسطة من قرى المريج وهي في اقطاع ثالث
مقدمي الأنوف بدمشق وقع بها تحديث الأجزاء^(٢٢) .

حزّة - وهي بلدة صغيرة تحت زمكها لماسجد وشر بها من عين الرشيدية^(٢٣) .

حمورية - وهي قرية شمالي سقبا متوسطة حسنة بها جامع يقال إنه عمري
وهي وقف على أولاد السلطان الملك الظاهر وفيها املاك مستخرجة في الخراج^(٢٤) .

حردان* - وهي قرية تحت سقبا أيضاً خربت كان لها حديث لجماعة
من اهل الحديث أفرد لها الحافظ ابو الحسن بن عساكر جزءاً ثم أفرد لها
شيخنا المحدث أبو المحاسن بن عبد الهادي جزءاً آخر^(٢٥) .

حرسنا الزيتون^(٢٦) - وهي قرية كبيرة جامعة وهي في اقطاع النيابة
كانت والآن صارت وقف التكية^(٢٧) قال شيخنا ابو المحاسن وهي قرية
شرية وفسق معروفة بذلك ومن المذكور بين الناس إنها اول ما يخسف بها
في الدنيا وكانت قديماً قرية حديث وشر بها من نهر يزد وتورا واليها ينسب
التفاح النبطي وقع بها حديث كثير خرجت لها جزئين وخرج منها جماعة
من اهل العلم انتهى . قلت منهم الامام محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة
رضي الله عنها .

حرسنا القنطرة^(٢٨) - وهي قرية قبلية صغيرة ولعلها من حساب المريج .

حزماً^(٢٩) : وهي قرية من قرى المريج وثلاثها وقف على دار الحديث
الأشرفية^(٣٠) بدمشق وقع بها حديث كثير قال المحدث ابو المحاسن^(٣١)
وقد أفردنا لها جزء .

حرث - وتضاف الى العوامد فيقال لها حران العواميد وهي قرية
متوسطة من قري المريج^(٣٢) .

الجديدة* - بالخاء المهمل والناس يقولون بالمعجمة تحت وهي قرية
متوسطة من قرى المريج وهي في اقطاع النيابة^(٣٣) .

الحديثة^(٣٤) - وهي قرية صغيرة تحت دمشق وغالبها يتكلم^(٣٥) عليها

المولى الخواجا زين الدين عبد الغني بن المزاقي^(٢٤) وقع بها حديث
وحدث فيها بعدة أجزاء .

الخيار - وهي صغيرة من قرى المرج^(٢٥) .

داريا^(٢٦) - بلدة كبيرة جيدة عذبة^(١) بها جامع وهي من جملة
بلاد السلطنة^(٢٧) وبها اراضي وقف نور الدين الشهيد على طلبة العلم والصوفية
الفقراء وبها قبر ابي سليمان الداراني واليها ينسب البطيخ الجيد وقع بها
حديث كثير وخرج منها جماعة كثيرون من أمل العلم قال شيخنا ابو الحسن
وقد أفردنا لها مصنفًا ولم أقف عليه فأفردت لها جزءًا لخصته من تاريخها وزدت عليه .

دقابة * - وهي قرية صغيرة تحت أرزونا ولها جامع وعليها كروم
وشربها من نهر تورا^(٢٨) .

دومة^(٢٩) - وهي قرية كبيرة جامعة شرقي حرستا وهي من أمهات
القرى من اقطاع أمير كبير^(٣٠) وشربها من نهر تورا وقع بها حديث

[٣ ظ] وخرج [منها جماعة من المحدثين والعلماء منهم الدومي المشهور .

الدوير * - يقال لها دير ابن عصرون وهي قرية صغيرة في لحف الجبل
ونصفها أو نحوه وقف الحنابلة من جملة وقف الجوزية^(٣١) .

الرّوبة^(٣٢) - غربي^(٣٣) في فم الوادي فيها بيوت ودكاكين وحمام
ويقال انها التي أوى اليها عيسى وأمه وهي الآن مكان فرجة ويجتمع فيها
على غير التقوى وقد خربت في أيامنا عدة مزار وعمرت وقع بها حديث
ومساج في عدة أجزاء وأفرد لها الحافظ الشمس بن ناصر الدين جزءًا
وتبعته في آخر أبسط منه^(٣٤) .

زملك - بلدة كبيرة جامعة بها جامع وحمام وخلق كثير وهي من
أمهات الغوطة وشربها من نهر ثورا وبها موضع يقال إنه مزارع وقع بها
حديث كثير وخرج منها جماعة من المحدثين والعلماء وخطيبها كان بعض ولد
ولد شيخ الاسلام ابي عمر وله سماع كثير واستمر أولاده بها الآن^(٣٥) .

(١) عذبة من عذا البلد طاب هواؤه وينطقون بها اهدنا بالذال عذبة (المجمع العلمي الرزي)

زبدین - وهي قرية في آخر القوطة من أقطاع النیابة ويزرع فيها البطيخ كثيراً ووقع فيها تحديث ببعض الأجزاء (٤٦)

الزُعیرية * - وهي قرية من قرى المرج وقع بها تحديث ببعض الأجزاء (٤٧).
السوِّداء * - وهي قرية من قرى المرج قرب البحرة (٤٨).

سقبا - وهي بلدة كبيرة جامعة وبها جامع وعدة مساجد وحمام وهي أملاك لأربابها وغيرهم ومنها يستحسن بزرا الخیار وشربها من نهر داعية وقع بها تحديث كثير وخرج منها جماعة من أهلها قال شيخنا أبو المحاسن ولأهلها سماع وقد أفردت لها جزء (٤٩).

الشجرة * - وهي كانت قرية خربة وهي من جملة صدقات الخنابلة (٥٠).

الصالحية * (٥١) - قال شيخنا أبو المحاسن وهي أول قرى القوطة وأم البلاد وعروس الشام يصلح أن تكون مدينة بسفح فاسيون أول من وضعها المقدسة فأجبرهم لما هاجروا من الأرض المقدسة إلى دمشق نزلوا مسجد أبي صالح شرقي دمشق فاستوخموا تلك الحلة ومات منهم جماعة كثيرون في مدة يسيرة فصعدوا إلى هذا الجبل وبنوا به الدیر المعروف بهم وبهم سميت الصالحية لأنهم كانوا من الصالحين الكبار وكانت منهم الشيخ أحمد والد الشيخ أبي عمر، والشيخ أبو عمر، والشيخ موفق الدين، والحافظ عبد الغني، والحافظ الضياء، والحافظ العامد، والإمام عبد الهادي، وأشباه هؤلاء وكلهم أقارب ثم اتسع البناء وبنى لهم الشيخ أبو عمر سبع مبات: المدرسة، والمسجد غربيهما، والميضأة، والمصنع، والمغربة، والمفصل، والمسقا، انتهى. وقد أفردت لها تاريخاً.

[٤ و] صنعاء - قال شيخنا المحيوي النعيمي في مسودة [[تاريخه وهي قرية خربت وبقي مزارعها على نهر الخلخال بالقرب من المتبيع خرج منها جماعة من المحدثين نحو عشرة انتهى (٥٢).

الضیادة - ويقال لها الرمادة وهي قرية بقرب عذراء خربت وهي وقف من جملة صدقات الخنابلة (٥٣).

عينُ ثُرْما — وهي قرية جامعة شرقي دمشق وبها جامع وحمام ووقع بها حديث وكان لبعض أهلها سماع ببعض الأجزاء وغالب الوادي التختاني مع أهلها وشربها من نهر ثورا وأما الوادي فشرب بعضه من نهر داعية وبعضه من بردى (٥٤) .

عربيل — ويقال لها عربين وهي قرية جامعة وشربها من نهر ثورا واليها ينسب العنب البلدي واللوز وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من أهل الحديث ولم فيه سماع (٥٥) .

عذرا — وهي قرية شرقي دوما وهي في أقطاع النيابة كانت والآن صارت وفقاً على التكية وهي بلدة كبيرة بها كان قتل حجر وأصحابه وشربها من نهر ثورا واليها ينسب البطيخ وقع بها تحديث يسير (٥٦) .

عقربا — وهي قرية شرقي بلدة كبيرة وهي من جملة اقطاع النيابة واليها ينسب القماش العقرباني وقع بها حديث وخرج منها محدثون (٥٧) .

قبر الست — وهي قرية قبلي دمشق يقال أن زينب بنت علي مدفونة فيها وهي بلدة جامعة وللناس أيام يخرجون اليها يحتجون بالزيارة ويتنزهون ووقع بها حديث يسير وقد أفردت لها تعليقاً (٥٨) .

قرية سيدي مدرِك — بالقرب منها وفي كونه هناك خلاف (٥٩) .
القابون الفوقاني — وهي قرية كبيرة تحت برزة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق وغالب أهلها تركان وبها رؤساء واعيان وشربها من نهر يزيد وقع بها حديث (٦٠) .

القابون التحتاني — وهي بلدة كبيرة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق وبها (٦١) تركان وحوارنة وغيرهما وبها يعمل خميس البيض النجس الخبيث وقد أفردت له تعليقاً وشربها من نهر يزيد واليها ينسب الخيار الجيد وقع بها حديث وخرج منها جماعة من العلماء والصلحاء .

القصور * (٦٣) — ويقال قصر القوافل وهي قرية متوسطة على طريق

المارة وهي في اقطاع رابع مقدمي الألوف بدمشق .

القصور * — وهي بلدة غربي كفرسوسية وقد خربت وهي الآن خراب (٦٣)

كفرسوسية — وهي بلدة تحت المزة بها جامع وحمام وهي بلدة جامعة
وبها معصرة للزيت لأن بها زيتون كثير ووقع فيها حديث وخرج منها

محدثون منهم شيخنا الشمس الكفرسوسي الشافعي .

[٤ظ] كفر بطها — ويقال لها كفر بطنا وهي قرية جامعة بها جامع وحمام

ودكاكين ويقال إنه كان بها علماء وسادات ورؤساء وتجار وهي أملاك

متفرقة وبها عدة مساجد وشربها من نهر داعية ووقع بها حديث كثير وخرج

منها جماعة من الأئمة المحدثين بل الحفاظ منهم الحافظ شمس الدين الذهبي

وولده المحدث ابو هريرة وغيرهما (٦٤) .

اللقبشا * — ويقال اللقبسا بالسين وهي قرية من أشهر قرى المريج (٦٥) .

المحمدية — عند جسر بن وهي قرية صغيرة من قرى المريج كانت

خربة والآف عمرت (٦٦) .

المنيحة — وهي قرية تحت دمشق جامعة ولها جامع ولي خطابته في هذه

الايام صاحبنا القطب بن الصفوري الشافعي قال شيخنا ابو المحاسن ويقال إن

بها قبر سعد بن عباد وليس كذلك انتهى . وقد أفردت له جزء وهذه الأيام

يذهب الناس اليها للزيارة والتنزه على عاداتهم وبها قطع وقف على الحنابلة

تعرف بالجوزيات وقف المدرسة الجوزية وقع فيها تحديث بعدة أجزاء

وخرج منها محدثون منهم المنيعي (٦٧) المشهور .

مسجد القدم — وهي قرية قبلي الصبيبات جامعة بها جامع وهي عذبة

من جملة بلاد السلطنة لأناس متفرقين قال شيخنا ابو المحاسن ويقال إن قدم

موسى فيها وذكر بعضهم أن فيها قدم النبي ﷺ وهو كذب انتهى وبالقرب

منها الكثير وقد أفردت له مؤلفاً (٦٨) .

المزة — وهي قرية في سفح الجبل من الغرب كبيرة وبها عدة جوامع

ومساجد وحمامات ودكاكين وهي قديمة قال السيد كمال الدين بن حمزة عندي لها تاريخ وتقصدته فلم أظفر به فأفردت لها جزءاً وكانت قد أقطعت لبعض ولد أسامة بن زيد ووقع بها تحديث وخرج منها محدثون منهم الحافظ جمال الدين المزي وولده وغيرهما (٦٩) .

مقنية * (٧٠) — والصواب قينية وهي قرية خربت خلف ميدان الحصاص قال الأسدي في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة في ترجمة محمد بن هارون من ولد أنس بن مالك الأنصاري الدمشقي من سكان قرية القينية عربي المصلي انتهى وقال غيره: أبو علي محمد بن هارون الأنصاري الدمشقي من سكان قرية قينية بظاهر باب الجابية مشهورة انتهى .

مقرا * — وهي (٧١) كانت قرية فخرت شرقي الصالحية أدركت فيها السبع قاعات والآن باقي بها مسجد ومأذنة عند طاحونها على نهر ثورا غربي الصالحية .
النيرب — غربي (٧٢) الصالحية كان له أمم خاص وبه بيوت وبساتين وهو الآن مضاف إلى أمم الصالحية وله جامع وحمام وقد خرب ووقع بها سماع حديث كثيراً أفردت له جزءاً قال الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة توضيحه والنيرب من قرى الغوطة وهي قرية من محاسن قرى دمشق من [هو] إقليم بيت لها كثيرة المياه والبساتين وبها جامع حسن تقام فيه [[الجمعة ويقال في شرقيه قبر حنة أم صريم عليهما السلام قال ابن شداد وليست صريم بنت عمران ولها حكاية وفي تاريخ دمشق لابن عساكر أن الخضر يفتاب هذا المسجد ويصلي فيه ويروى أن عيسى عليه السلام كان فيه انتهى .
يعقوبا — وهي قرية صغيرة غربي حزة وشرها من نهر ثورا وقع بها تحديث ببعض الأجزاء (٧٣) .

بلدا — وهي قرية قبلي المدينة بالقرب منها جامعة وهي بلدة حسنة وقع بها تحديث وخرج منها جماعة من المحدثين منهم اليلداني الأول ومنهم شيخ شيخنا أبي المحاسن هو شرف الدين اليلداني الطبيب (٧٤) .

م . اسعد طلس

يتبع :

م (٥)

مخطوطات ومطبوعات

الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة

طبع سنة ١٣٥٦ هـ في المطبعة الاقتصادية بالرباط من بلاد المغرب الأقصى مؤلفه من كبار اعيان الشيوخ في بلاد المغرب وله باع طويل في الفقه والأدب والتاريخ وهو الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن بن زيدان نقيب الأمرة المالكة ومؤلف كتاب النهضة العلمية في الدولة العلوية وكتاب العز والصولة في نظام الدولة وغيرهما من مؤلفاته التي وردت أمماؤها في كتابه الدرر هذا بمناسبة عزوه اليها ونقله عنها وقد عني بكتابه هذا أيا عناية وهو يشتمل على ثلاثة عشر مقالا في ٢٢٦ صفحة ضمنها تاريخ ملوك الدولة العلوية بالمغرب وعلى مقالات في تقرير الكتاب وختمه بست فهارس للموضوعات والأعلام والصور ونوادير الكتب وغيرها والملوك المنوه بمآثرهم في هذا الكتاب هم الذين قدم جدهم الحسن الداخل من الحجاز في المائة السابعة للهجرة — كما في الجزء الرابع من كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى وكانت إقامتهم في سلجاسة الى أن بويع فيها منهم الشريف بن المولى علي الشريف المثلث سنة ١٠٤١ هـ ثم بويع ولده محمد الشريف سنة ١٠٦٩ هـ ثم بويع سنة ١٠٧٥ هـ اخوه الرشيد الذي تبوأ عرش الملك بفاس فابتدأ صاحب الدرر كتابه به اذ عده اول الملوك العلويين وما قبله عهد تأسيس وإنشاء ثم تتابع بعده اثنا عشر الى زمن السلطان لهذا العهد مولاي محمد بن يوسف وفي الكتاب ثمان وأربعون صورة تزيك اولئك الملوك مع نماذج من خطوطهم وتواقيعهم ورسائلهم ومراسيمهم ووثائق أوقافهم كما تزيك نماذج من قصورهم وآثار عمرانهم ويذكر المؤلف ما شيدوه من مدارس ومساجد ومزارات وحصون ومعازل ودور سلاح وحدائق وقصور وجداول وجسور وملاجئ ومدن وما الى ذلك من معالم الحضارة وشواهد العمران والمؤلف تارة يسجع وكثيراً ما ينثر وقد أورد من الشعر ما زاد على سبعمائة بيت منها ما هو من نظمهم ومعظمها للغيره من معاصرين ومتقدمين .

عبد القادر المبارك^(١)

(١) كانت هذه القطعة آخر ما كتب الأستاذ قبل وفاته رحمه الله وقد كلف المجمع ولد الأستاذ السيد محمد المبارك أن ينقلها من المسودات التي تركها .

نظام جدير ومياة جديرة

الأداة الحكومية

تأليف الأستاذين : ابراهيم مذكور ومريت غالي

الطبعة الثانية ١٩٤٥

الكتاب يقع في ثلاث مئة وثماني وثلاثين صفحة ، اخرجته دار الفصول والنشر بالقاهرة . واذا كان الموضوع « الأداة الحكومية » موضوعاً جليلاً ، فان المؤلفين الفاضلين وفقاً توفيقاً كبيراً في اختيار الأبحاث وتنسيقها ، وعرضها وتبويبها . فقد وطأا لموضوعها بمقدمة عرضاً فيها ادواء الأمة ومشاكلها . فكان مما قالاه : « . . . وكيف نقبل من وزير او مستوزر ان يكون متشائماً ، وشأنه ان يخطو بنا دائماً الى الأمام ! وكيف نقبل الاستسلام الى اليأس من يدهم مقابلد الامة ، اللهم الا ان كانوا يحسون انهم لا يقوون على عمل ، وليتهم يصرحون بهذا فيفسحوا المجال لمن هم أرغب في العمل منهم ، ولستنا مبالغين ان قلنا : ان روح التشاؤم هذه لم تعظم في اعيننا ولم تجسم امامنا الا على ايدي الرجال ذوي الماضي ، ومن ساهموا في تطور هذا البلد ربع قرن او يزيد . . . »

« وقد يكون للشيوخ عذرهم في تشاؤمهم ، ولكن الأمر لم يقف عندهم بل جاوزهم الى الشبان الذين هم معقد الأمل ومحط الرجاء ، فهم بدورهم متشائمون وغالون في تشاؤمهم أحياناً . فيعلنون ان المثل العليا التي ملئت بها رؤوسهم في الدروس والمدرسة لا وجود لها في الخارج ، وان كل من سبقوهم انما سارعوا الى حظهم ونصيبهم ولم يفكروا الا في انفسهم ، فحدير بهم ان يضعوا المصلحة العامة جانباً ويتجهوا نحو نفعهم الشخصي . . . »

« . . . ومن المغالطة ان نشكر انا تحبطننا كثيراً اثناء العشرين سنة الأخيرة ، فأقدمنا على مشروعات خطيرة قبل درسها . وهدمنا مؤسسات صالحة لأنها تمت الى شخص او حزب معاد ، واجننا اليوم ما حرمناه بالأمس ، ولم تكن لنا مياسة

واضحة لا في هدم ولا في بناء ، وفي هذا التخط ما يضعف ثقة الكثيرين ، وبدفع الى القول بأننا لم نتهياً بعد للاضطلاع بأعبائنا . ويظهر ان الخصومات السياسية والخلافات الحزبية بالغت في هذا وزادته سوءاً وقبحاً ، اذ ليس منا معصوم ، والقادة والزعماء في البلاد الأخرى يخطئون ويصيبون ، والفارق بيننا وبينهم ان أولئك يخطئون فيتدارك خطأهم ، في حين انا اذا زل أحدنا زلة اتخذها خصومه السياسيون فرصة للتشهير به والتحامل عليه . وربما دفعتنا الخصومة الى ان نرمي الناس بما ليس فيهم ، ونشوه الصالح ونقبح الحسن .

« . . . وما يؤسف له ان الأمور التي حاولناها لم تنجح النجاح المطلوب ، فلم نقم الدليل على ان التغيير الذي دعونا اليه ، والاستقلال الذي نادينا به ، جاء مصدر خير وبركة شاملة كما كنا نعلن للناس من قبل . »

« . . . ولم نستفد من تجربة جربناها ، ولم نتعظ باخفاق وقع فيه غيرنا ، ومضى علينا نحو عشرين سنة وامورنا موكولة الينا دون ان يكون لهذا التعرير أثر عملي يذكر ، اللهم الا انه ابان عن عيوب مستورة وكشف عن نقائص كانت خفية » وبعد ان يعدد المؤلفان من العيوب ما أشرنا الي بعضه ، يعودان فيقولان :
« كل هذا نسلم به ، ونسلم بأن للمشائين عذرهم ، ولكننا نعتقد ان هذا الشاؤم اعدى عدو لامة ناهضة . واذا قلنا تشاؤم فعنى هذا انا نقضي على النهوض والاصلاح ، ونسد باب الأمل في الوطن والرجاء في المستقبل ، ونمحو روح التفاني والتضحية التي بدونها لا تقوم الامم ولا تنجح الدول . . . »

ويشرح الاستاذان كثيراً من أدواء الأمة ومشاكلها ، من سياسية واقتصادية وصحية . ويتجهان أخيراً الى الاداة الحكومية ، يربانها الوسيلة الأولى لتحقيق الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية . فيذكران من معايبها انها اداة أبلتها الأيام ، وقد تطور الزمن ولم تتطور . ونهض المصريون فلم يجارهم هذه الأداة في نهوضهم . فهي بقية العصور الماضية : تعقد العمل ، وتسيء الى الجماهير . وسيرها بطيء ، لا يمتشى وصرعة السير في القرن العشرين . ونظرتها ضيقة محدودة ، لا تتفق وتشتب الحياة

التي نعيش فيها ، ف حاجتها الى التجديد والاصلاح ، لا تقل عن حاجة اي مظهر من مظاهر حياتنا العامة .

ثم يرفع المؤلفان صوتهما في جراءة وفي حق ، فيقولان قولة خاليق بأن يتدبرها كل منا : « ان سير الأعمال الحكومية قد وصل الى حد ان لم نغيره ونبدله بأنفسنا ، فأخشى ما نخشاه ان نسلم بتبديله ولو على ايدي غيرنا » .

« وعشاً نحاول ان نتحدث عن نهوض اقتصادي ، او تقدم اجتماعي ، ان لم نأخذ أنفسنا بوسائل ناجعة ، ونظم سديدة لتنفيذ ذلك ، وان لم نتخير لمشروعاتنا الصغيرة والكبيرة رجالاً يظلمعون بها على أكمل وجه . وقد جاءت الحياة النيابية على حدائث عهدها ، فزادت الأداة الحكومية تعقيداً ، ولأت جوها بلبلية واضطراباً ، واصبحت الفوضى تهمدنا من كل جانب ان عن طريق السياسة ، او الادارة ، فأبى السياسيون الا ان يتدخلوا في كل شيء ، وبقلبوا كل وضع ، وينقضوا كل مبدأ ، وثمان الاداريون في واجباتهم اعتماداً على حظوة ، وعدوا على حقوق غيرهم باسم المحسوية » .

هذه مقاطع تختيرناها من هذه المقدمة الممتعة ، للدلالة على قيمة الكتاب وطريقته ، وعلى بيانه وأسلوبه ، ثم لانطباق كثير مما قيل فيها ، بل لانطباقه كله ، علينا أيضاً .

ويخرجان من هذه المقدمة ، الى كلمة موجزة عن « الاداة الحكومية » ، ثم الى الباب الأول في « الرقابة والتوجيه » وفيه بحث عن النظام الملكي النيابي والدستور ، والتربية القومية : وعن البرلمان ، والانتخاب ، والحزبية ، وتكوين البرلمان ، والانتاج البرلماني ، وعن الوزارة ومهمة الوزير ، ورئيس الحكومة ومجلس الوزراء ، وعن مجلس الدولة ، والقضاء الاداري ، واعداد التشريع ، والافتاء .

ثم الباب الثاني في « العمل والتنفيذ » وفيه الخدمات العامة ، وتوزيعها والاشراف عليها ، والانتاج الاداري ، وتفرعاته ، والموظفون ، وأنظمتهم وأحوالهم ، والقضاء وتوجيهه ، واستقلاله ، وتنظيمه .

ويطول بنا نفس الكلام ، ان نحن رحنا نفصل هذا الذي اجملاه ، وهو تفصيل
 — اذا كان — فانه لا يغني عن قراءة هذا السفر الجليل ومدارسته . بقي أن نتساءل
 كيف يحقق هذا الاصلاح ، وكيف تطهر الاداة الحكومية من مفسدها وأدرانها ؟
 هذا ما لم يشير اليه المؤلفان ، الاّ اشارة خاطفة — فيما أذكر — جاءت في الصفحة
 الأولى من التمهيد وهي : ويعيننا ان نسرد هنا عبارة كثيراً ما سمعناها وهي :
« كل هذا كلام جيد ومقترحات بقرها الجميع ، ولكن متى التنفيذ ومن أين يجيء ؟ » —
« وفي رأينا ان وسيلة التنفيذ الأولى تكوّن رأي عام قوي يقط حول مبادئ
صريحة ومقترحات واضحة ، وهذا ما رجونا ان يساهم فيه هذا البحث بنصيب . »
 اني أسمح لنفسي ان اقول ، بعد ان خبرت الجهاز الحكومي عشرات من
 السنوات ، في مختلف من الحالات : ان المؤلفين الكريهين ، اذا كانوا وفقاً في وصف
 المرض وشرح اعراضه كل التوفيق ، فما احسب انهما وفقاً في وصف الدواء ،
 فتكوّن « رأي عام » عمل شاق وطريق وعمر طويل ، ومن يكفل هذا الرأي
 العام ان لا يفسد عوداً ، كما فسدنا نحن بدءاً ؟

أليس في ما وصفه المؤلفان من تهافت الأمة : شيباً وشباناً على المنافع الخاصة ،
 ما يقل معه الرجاء في تكوّن هذا الرأي العام ، وهل يكون هذا « الرأي العام »
 من لا يؤمن بمصلحة عامة ؟ وقديماً قال الفقهاء « فاقد الشيء لا يعطيه » ان الأمر
 لا يصلح الا على يد القوي العادل الذي وصفه السيد الأفغاني . نعم ! ان المصلحة العامة
 تتطلب رجلاً صلب العود ، صحيح الايمان ، سليم الفهم ، واسع الادراك ، كثير
 المشاورة ، يتنخل الرأي ثم يستبد في تنفيذه . لا يقول : « عيبتي وكرمي » بهذا
 تخلص الأمم من مساقط الضعف والتفكك . والاّ كانت آراء عذبة ، يستسيغها
 الخيال ، ولا تقرأها الحقيقة . تنتهي نظريات ، كما بدأت تمنيات .

عارف النكري

العمل لمصر

بعث دولة وإحياء مجدد

كتاب من القطع المتوسط ، يقع في مئتين وست عشرة صفحة ، وضعه الأستاذ محمود كامل المحامي . ولا بد لنا — قبل ان نتناول هذا الكتاب بالبحث — من كلمة مجملة نقولها في الموضوع من حيث هو : « العمل لمصر » .

لقد أصبحت الوشائج الفكرية والثقافية والاقتصادية بين الشعوب — بعد ان طوى العلم ما كان يبين من مسافات وابعاد — مُحكمة متشابكة . فما من مذهب أو رأي ، ينشأ في بلد ، الاّ تراجع صدهاء في البلد الآخر ، مهما كان بين البلدين من اختلاف في : العنصر ، واللغة ، وفي منازع الحياة ومناحيها ، لذلك قل ان يقوم اجنبي عنا بدعوة من الدعوات — ولا سيما القومية او الوطنية او السياسية — الاّ كان لها عندنا مستمع بل مجيب . ويكثر عدد هؤلاء المستمعين والمجيبين او بقلوبنا ، على قدر ما يكون لهذه الدعوة من هوى في النفوس ، واستعداد لها عند اصحاب هذه النفوس .

فاذا كان ذلك كذلك ، في حق الأبعد الأجنب ، فما عسى ان يكون الأمر في « عمل لمصر » يقوم به رجل من مصر ، لبعث دولة وإحياء مجدد . وأمتنا : لغةً وعنصرًا . وحالها حالنا : مرضًا وضعفًا . ومتى كان الدواء واحدًا ، فلا بد ان يكون الدواء واحدًا ايضًا .

وعلى هذا ، فالكتاب ليس لمصر وحدها ، ولكنه لهذه الشعوب المبعثرة المتفرقة ، التي تجمعها هذه الأمة العربية الواحدة .

استهل المؤلف كتابه ، بأن كشف عن حقيقة النهضة القومية في مصر ، فأذكر على الأحزاب المصرية التي قامت بعد سنة ١٩٢٠ ان تكون هي التي أيقظت الشعور الوطني فقال : « فاحساس المصريين بحقوقهم ، وتمردهم على كل من يعتدي على هذه الحقوق قديم ، اقدم من أي حزب سياسي قائم في مصر

الآن ، بل ان تاريخ مصر الحديث ، ناطق بأن الزعامة التي كانت تقود المصريين الى تلك الأهداف الوطنية ، أرشد وأجرأ ، واشد ايماناً برسالتها . »
والكتاب لا يرسل كلامه هذا ارسالاً ، منقطعاً عن الدليل ، بل يضرب عليه مثلاً : موقف السيد عمر مكرم سنة ١٨٠٥ ، وما كان من مطالبه القومية الصريحة الواضحة . ثم هو يفي في تعداد هذه المواقف والمطالب ، ويعود في موطن آخر من الكتاب ، فيذكر ثورات المصريين على الفرنسيين سنة ١٧٩٨ و ١٧٩٩ و ١٨٠٠ . وثوراتهم على الانكليز ، وما نشب بين الفريقين من مواقع سنة ١٨٠٧ و ١٨٨٢ وثورة عرابي سنة ١٨٧٩ ونهضة مصطفى كامل سنة ١٨٩٥ ودعوة زغلول سنة ١٩١٩ . وقد عاد فنوه بهذه الحوادث تنهياً أرضى الحق وعزة مصر ويمتاز المؤلف بأنه لا يؤله زعيماً ، ولا يدعو الى عبادة نائراً أو قائماً ، بل يدل على ان أكثرهم خلقتهم الثورات والحادثات ، لا انهم هم الذين خلقوها .
اعتبر ذلك في ما بقوله في سعد ، وسعد زعيم مصر الأكبر ، بل قدوة الأقطار العربية عامة : « والشعب المصري هو الذي » اكتشف « سعد زغلول فانتخبه وكيلاً للجمعية التشريعية . والشعب المصري - بقوته الجارفة - هو الذي جعل سعد زغلول زعيماً وطنياً أثناء ثورة عام ١٩١٨ . فحمله على ان يستخير مواهبه لمهاجمة اوضاع ، يشهد ماضيه بأنه كان يقرها ، في وقت لم يكن الشعب قد جرفه فيه الى اتجاهه الجديد » .

وما قاله عن « اكتشاف » الشعب المصري لسعد زغلول ، قال مثله عن « اكتشاف » الشعب الانكليزي لـ (تشرشل) .

نقول : اذا كان للشعب فضل في « الاكتشاف » فان للزعماء الحقيقيين فضلاً كبيراً في انهم استحقوا ان يكونوا أهلاً « للاكتشاف » وطلبة (للمكتشفين) .
وآخذ الزعماء المصريين ، بأنهم واجهوا الرأي العام من غير برنامج محدد ، وخص بالنقد منهم سعداً نفسه ، لأنه لم يكن له « الا برنامج ساذج يتلخص في شيئين : الاستقلال ، وحكم الشعب بواسطة الشعب » .

ونحن نوافق المؤلف في كثير من هذا الذي يشكو منه . ونزبد عليه فنقول :
 انت الشرق العربي بلاؤه هؤلاء الزعماء ، وهم هم ضعفاً واستخذاءً في كل
 قطر من الأقطار العربية . غير ان هذه التماثيل الجوفاء ، من الذي خلقها
 فسواها أصناماً ، ثم عبدها ، أليس هو الشعب نفسه ؟ !

أما ما أؤخذ به سعد ، من ان برنامجهم كان (ساذجاً) فلعل أكثر القارئین
 بالنهضات القومية يعملون مناهجهم في مطلع دعواتهم ، مقتضبة موجزة ، تفادياً من
 القيل والقال ، والنقاش والجدال ، على عكس ما يفعله زعماء الأحزاب السياسية
 متى ألفوا احزابهم ودعوا اليها .

والمؤلف يريد اتحاداً يعيد مصر العظمى الى حدودها التاريخية ، فيتبسط في
 الموضوع ، وينوسع في الحدود تبسطاً وتوسعاً ، ما يحتملها اعصاب الساسة اليوم ،
 ولا تطمئن لها قلوبهم وحبذا لو سمي هذا الاتحاد عربياً لا مصرياً
 ان المؤمنين بقضيتهم ليماناً حقاً لا يهمهم اسمي هذا الاتحاد : مصرياً ، أم شامياً ،
 أم حجازياً ، أم يمنياً ، أم نجدياً (وهي الأقطار التي أدخلها المؤلف في حدود
 مصر العظمى) وانما يهمهم الاتحاد نفسه ؟ غير ان الناس ليسوا كلهم مؤمنين . والألفاظ
 لها قيمتها في نفوس أمثال هؤلاء الناس ، وهي تفتح مجالاً للوسواس الخناس
 وبعد انت يؤلف المؤلف هذا الاتحاد من أقطار عربية بحتة ، وبعد
 ان ينقل عن ابراهيم باشا انه قال : « است تركياً ، وقد قدمت الى مصر طفلاً ،
 ومنذ قدومي غيرت شمس مصر دمي فجعلتني عربياً » وينقل عنه بعد ذلك قوله
 « . . . اننا الآن ننسب الى شعب النيل واكثر تنوراً . الى هذا الشعب العربي
 الذي سبق ادربة في الحضارة ، وزين تاريخه باقامة المدن الزاهرة والآثار الفخمة
 التي غطى بها وجه الأرض من جبال الأندلس الى وادي النيل بل الى
 حدود ايراق » .

نعم بعد ان يقول المؤلف ما قاله ، وبعد ان ينقل ما نقله ، عن مصر ، وعروبة
 مصر ، وأهداف مصر العربية ، وعن تعرب من يقيم بمصر .

نعم بعد هذا كله ، وبعبارة أصح في ثنايا هذا كله ، يرفع صوته منكرآ
 ماسماه بـ « الخرافة الأثيمة » التي تقول : « ان مصر قد ظلت منذ فجر التاريخ
 مستعمرة للشعوب التي غزتها ٠٠٠ » فيقول : ان مصر لم تكن للغازين مستعمرة
 بل كانت لهم مقبرة .

ويسرد في جملة ما يسرده على صحة ما يقول : « ٠٠٠ » وقد ظلت مصر ولاية
 رومانية ست مئة وسبعين عاماً . انتهت بغزو العرب لمصر في عام ٦٤٠ ميلادية .
 فعاد المصريون يثبتون مناعتهم التاريخية ويفنون الغزاة الجدد في قوميتهم . اذ
 ظلت اللغة القبطية رغم الغزو العربي لغة الواووين الى عهد خلافة الوليد بن
 عبد الملك . أي أنها ظلت كذلك خمسة وأربعين عاماً وتكررت ثورات المصريين
 في خلال حكم العرب فكان الخلفاء يحترمون ارادتهم وينفذونها ١٠

ثم راح المؤلف يعدد هذه الثورات / ثورة ثورة .

ولعل في مثل هذا التردد : بين عروبة مصر ، واهدافها الكبرى ، وبين مقاومة
 مصر للعرب والعروبة ، تناقضاً يئماً لا يوفق بينه الا الرجوع الى التاريخ الحق .
 والتاريخ الحق : ان العرب اذا كانوا غزوا مصر ، كما غزوها غيرهم ، بل كما
 غزوا كل شعب الأرض التي تديرها ، اذ يندر -- ان لم نقل يستحيل -- ان نجد
 شعباً متمدناً ولد في الوطن الذي هو فيه اليوم -- فان العرب يوم فتحوا مصر ،
 اتخذوها دار قرار لهم ، فأصبحوا اهلها كما أصبحت كل أرض للذين فتحوها
 فاستقروا بها . فليس بجائز ان يقاس العرب في مصر بالغزاة الطارئین ثم ينجلون .
 ولو أنا قلنا غير هذا خالفنا الواقع ، ولناقض المؤلف رأيه الذي أبداه ، وأهدافه
 التي يرمي اليها من وراء تأليفه . ان العرب في مصر ، اما ان يعدوا بعد هذه
 المئات الطوال من السنين أهل البلاد ، أم لا ؟ فاذا كذبنا انفسنا والتاريخ وعدنا
 العرب في مصر طرءاء كسائر الغزاة ، فقد سقطت حجة المؤلف بأن مصر مقبرة
 الغزاة ، فن ملك أرضاً الف وثلاث مئة سنة وتزید ، ولا يزال يملكها وسميلكها
 باذن الله وقوة أبنائها العرب الى ما شاء الله ، فلا يقال ان هذه الأرض مقبرة

له . وان كان أهل مصر العرب قد أصبحوا أصحاب البلاد حقاً فلا يجوز ان يقول فيهم المؤلف ما قاله في غيرهم .

فاذا وافقنا المؤلف في ما قلناه فانا لنترجو أن يتداركه في طبعة جديدة ان شاء الله . والأستاذ ينفه المصريين في كتابه لما يبيته لهم الاستعمار . ويريدهم ان يعتمدوا على أنفسهم ، ويستشهد لهم بقول من قال : ان اعتماد الشعوب الضعيفة على المساعدة الخارجية في السياسة العملية ، ان هي إلا مقامرة .

ويحث المصريين على العمل في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، ونشر العلم ، ورفع مستوى السواد الأعظم من المصريين ، وهم صغار الملاك وصغار العمال ، ويشير الى الادارة الحكومية والى مواطن الخطأ والضعف فيها . ويدعو الى اصلاحها . والكتاب صحيح اللغة واضح العبارة ، إلا هفوات قد لا يسلم منها كتاب .



ع . ن

سياسة الفقر

برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي

وضعه الأستاذ مريت بطرس غالي

وهو يقع في مئة وسبعين صفحة ، جيد الطبع ، حسن الترتيب والتبويب ، أخرجته مطبعة الرسالة بمصر . ويدل هذا الكتاب على ما دل عليه الكتابان السابقان «الأداة الحكومية» و«العمل لمصر» من ان في مصر نهضة فكرية جديدة ، أخذ يشعر القائمون بها ، الداعون اليها ، ان الشرق العربي — وفي طليعته مصر — يجب ان يعدل عن أساليبه العتيقة ، وينتهج في الحياة منهجاً جديداً ، يتفق والعصر الحاضر ، ومتطلباته المتعاقبة والمتطورة .

وصف المؤلف الفاضل بكلمات موجزات حالة مصر — وهي حالتنا نحن العرب كافة — فقال : «شغل فكرنا - نيعماً بعلامات الضعف في النظام السياسي والقومي ، ومظاهر التفكك الاقتصادي والاجتماعي . وشاهدنا في السنتين الأخيرتين على

له . وان كان أهل مصر العرب قد أصبحوا أصحاب البلاد حقاً فلا يجوز ان يقول فيهم المؤلف ما قاله في غيرهم .

فاذا وافقنا المؤلف في ما قلناه فانا لنترجو أن يتداركه في طبعة جديدة ان شاء الله . والأستاذ ينفه المصريين في كتابه لما يبيته لهم الاستعمار . ويريدهم ان يعتمدوا على أنفسهم ، ويستشهد لهم بقول من قال : ان اعتماد الشعوب الضعيفة على المساعدة الخارجية في السياسة العملية ، ان هي إلا مقاسرة .

ويحث المصريين على العمل في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، ونشر العلم ، ورفع مستوى السواد الأعظم من المصريين ، وهم صغار الملاك وصغار العمال ، ويشير الى الادارة الحكومية والى مواطن الخطأ والضعف فيها . ويدعو الى اصلاحها . والكتاب صحيح اللغة واضح العبارة ، إلا هفوات قد لا يسلم منها كتاب .



ع . ن

سياسة الفقر

برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي

وضعه الأستاذ مريت بطرس غالي

وهو يقع في مئة وسبعين صفحة ، جيد الطبع ، حسن الترتيب والتبويب ، أخرجته مطبعة الرسالة بمصر . ويدل هذا الكتاب على ما دل عليه الكتابان السابقان «الأداة الحكومية» و«العمل لمصر» من ان في مصر نهضة فكرية جديدة ، أخذ يشعر القائمون بها ، الداعون اليها ، ان الشرق العربي — وفي طليعته مصر — يجب ان يعدل عن أساليبه العتيقة ، وينتهج في الحياة منهجاً جديداً ، يتفق والعصر الحاضر ، ومتطلباته المتعاقبة والمتطورة .

وصف المؤلف الفاضل بكلمات موجزات حالة مصر — وهي حالتنا نحن العرب كافة — فقال : «شغل فكرنا - نيعماً بعلامات الضعف في النظام السياسي والقومي ، ومظاهر التفكك الاقتصادي والاجتماعي . وشاهدنا في السنتين الأخيرتين على

الأخص اهتماماً عظيماً بمشاكلنا الداخلية في جرائدنا ومجلاتنا ومحاضراتنا وفي حديث الناس عامة ، وترجع هذه الظاهرة الجديدة في حياتنا القومية — على ما أظن — الى انا اثر اكتساب حريتنا الوطنية انتقلنا الى عصر جديد في تاريخنا ، حتى بدأنا نشعر بأن مستقبلنا القومي أصبح الآن في أيدينا ، وليس لأحد سوانا ان ينظمه أو يكونه ، وقد غطت قضية الاستقلال خلال العشرين عاماً الماضية على شؤوننا الداخلية الى حد ما ٠٠٠ وكم كانت خيبتنا عظيمة حين عدنا من الشؤون الخارجية الى الشؤون الداخلية ، فوجدناها في منتهى الضعف والتقهقر .

« وحالة مصر في الحقيقة لا تدعو الى الاطمئنان : فأماننا اضطراب مستمر في الحياة القومية ، وازمة محققة في الآداب العامة ، ومشاكل اقتصادية واجتماعية قد تصل في القريب العاجل الى الحد الأقصى من الخطورة . وليست تلك العوامل بخافية على أحد » .
« ٠٠٠ زد على ذلك ان عدم الاستقرار السيامي والاداري يجعل الوزارات التي تتوالى على كرسي الحكم غير قادرة على ان تعد برنامجاً للإصلاح والتقدم » الى أن يقول :

« واذا كانت مماء مصر ملبدة بغيوم الأخطار الخارجية والمصاعب الداخلية ، فنجدير بنا ألا نرهب هذا ونخشاه ، ولنطمئن على كل حال الى ما في قلوب المصريين من عز وشهامة واخلاص في خدمة الوطن » .

انتهى المؤلف من هذا العرض والوصف ، الى برنامج الإصلاح : الشؤون السياسية والادارية ، وهي مباحث الباب الأول ، تناول فيها النظام النيابي ، وسوء استعمال الحكم النيابي ، وتكلم عن الادارة ، وعن الرأي العام ، وعن أعمال الحكومة والخطط العامة .

وفي الباب الثاني ، عالج المسائل الاقتصادية والاجتماعية ، ويبحث عن الثروة الزراعية ، ومستوى المعيشة ، ونقص التغذية ، وانتشار الأمراض المتوطنة .
والباب الثالث جعل موضوعه الخطط الاقتصادية والاجتماعية ، وهذه هي الناحية العملية في الموضوع ، وهي أكثر ما تهتمنا منه . غير ان هذه الخطط لا تخرج عن

انها أبحاث علمية قيمة ، ولكنها لا توصل الى الحل العملي الذي أصبح الناس في أكثر هذا الشرق العربي يرجونه وينظلمون اليه .
لقد عُرف الداء ووصف الدواء . فكان ماذا ؟

كان أن انقضت السنون على طبع هذا الكتاب ، ونشر ما فيه من الرأي الصواب الذي كان من حقه أن يحدث تطوراً اجتماعياً في الحياة السياسية المصرية ثم العربية . فلم يكن شيء من هذا ، وظللنا حيث كنا ، نؤلف الكتب وننشر الآراء ، وننظر الى جيل جديد لا نعرف متى يجيء ، وما عسى أن يكون منه ؟ ان الأنظار العلمية ، والاحصاءات ، والمقارنات والمقاييس شيء حسن لا بد منه ، ولكنه لا ينفذ من ذات نفسه ، الا اذا تقدم المخلص الجبار فأخذ الأمة بشدقيها يباعد بينهما ، ثم يفرغ الدواء في جوفها شاءت أم أبت . ولا نذهب بعيداً في التمثيل على رأينا بأن الاصلاح لا يقوم بالكتابة والخطابة وحدهما ، بل نستعير قول المؤلف نفسه : « ونشعر ونحن نسطر هذه العبارات انها ليست جديدة بل امتلأت بها أعمدة الجرائد السياسية ولا يزال يرددها الكتاب والخطباء حتى ابعد الناس عن التمسك بها والسير على مقتضاها » .

أما الباب الرابع فنحسه المؤلف بالدفاع الوطني ، والباب الخامس بالشعور القومي ووسائل التربية ، وفي هذين البابين من المباحث القيمة ، والآراء السديدة ، ما يخلق بالجيل الحاضر أن يطلع عليه ، وبالجيل الناشئ أن يتدارسه .
فلهؤلاء المؤلفين الفاضلين الشكر على ما أتحفوا به الشعب المصري خاصة ، والأمة العربية عامة من هذه الكتب الممتعة .

ع . ن

ملريح المناجح اليازميين وأصهارهم
تأليف عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في مصر ودمشق وبيروت والبرازيل
وضع الأستاذ المعلوف هذا التاريخ في كتيبين من القطع الصغير يقع كل

منها في ما يقرب من مئة وخمسين صفحة . اختصرهما من كتابه المطول (الفرز التاريخية في الأسرة اليازجية) وقد حرص المؤلف كل الحرص على أن يجمع في هذين الكتبيين ما اتصل به من قولة أو نكتة نسبت لأحد الذين ترجم لهم ، أو شعر أممله قائله أو نسي أن يدونه مدونه .
لذلك جاء في هذا الشعر ، ولا سيما ما نسب منه الى اليازجي الكبير الشيخ ناصيف ، الغث والسمين ، بل غلب فيه غثه سمينه .
ونحن نشكر للمؤلف عنايته بوضع هذين الكتبيين تنويراً بذكرى الأسرة اليازجية التي لها اليد البيضاء في خدمة اللغة العربية .



ع . ن

وادي الفرات ومشروع سد الهندية

تأليف الدكتور احمد سوسة

طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٥ فجاء في ٣٤٣ صفحة من القطع المتوسط

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « وادي الفرات » النفيس . فقد بحث المؤلف في الجزء الأول منه عن الفرات من منابعه الى بحيرة الحبانية . وبحث في هذا الجزء عن الفرات من الرمادي شمالاً الى سد الهندية جنوباً . وذكر ان الجزء الثالث سيشتمل على شؤون هذا النهر العظيم من سد الهندية الى شط العرب . أما الجزء الرابع فسيعالج مشروعات الاسقاء بنباء الفرات في المستقبل .
ان من يقرأ الجزء الثاني من هذا الكتاب بإمعان يحكم بطول باع المؤلف في شؤون الاسقاء وهندسة المياه ، فهو قد قضى خمس عشرة سنة مهندساً للري في العراق فاستطاع ان يقتل هذه الموضوعات درساً ولذلك سد كتابه هذا فراناً كبيراً في لغتنا الضادية .

وقد تناول المؤلف بالبحث أهم الجداول التي تشتق من الفرات بين الرمادي وسد الهندية ، كجدول الصقلاوية (وكانت العرب تسميه نهر عيسى) وجدول ابي غريب

(وكان اسمه نهر صرصر) وجدول اليوسفية ، وجدول اللطيفية ، ثم ذكر مشروعات المهندس الشهير ولككس ، وتطورات مجرى الفرات في التاريخ ، وأنهى الكتاب بدراسة سد الهندية وما ينشأ عنه من الأضرار والجداول .

وفي الكتاب رسوم وصور وخارطات كثيرة . ولغته حسنة في الجملة ، لكن فيه مصطلحات لا نوافقه عليها ، منها قوله مثلاً سدة الهندية بدلاً من سد الهندية ، فالسد اسم يدل على المسناة ، أي ذلك الحاجز الذي يقام في وجه النهر اما لتخفيف سرعة مياهه ، واما لحزن تلك المياه . وليس السد هنا مما يجوز ان يصاغ منه مصدر على وزن فعلة للدلالة على المرة . ولم ترد السدة بالناء بمعنى المسناة . ولم استسغ قوله « زمن الصيود » ولو قال « زمن الضحل » لكان أصلح . والضحل رقة الماء في النهر والغدير وغيرهما . وهو أيضاً اسم يدل على الماء القليل ليس بذئ عمق ج أضمال وضحال وضحول .

ومما وضعناه أو حققناه في « معجم الألفاظ الزراعية » من المصطلحات المتعلقة بالمياه : صَيِّب بمعنى Débit وسَكْرَ بمعنى Vanne وشَبْرَة بمعنى Emissaire وهي القناة الأساسية لصرف الماء ، والسَّرَب (ج أمرب) بمعنى Collecteur وهو القناة التي تتلقى الماء من المصارف Drains وتسيبها الى المشبرة ، والقناة والترعة بمعنى Canal والسَّرْبَة والفُجج بمعنى Rigole ، والخليج والجداول بمعنى الكبير من الفُججان أي Rigole principale الخ . فمن الضروري أن تتوحد هذه المصطلحات وسائر المصطلحات العلمية في بلادنا العربية .

مصطفى الشهابي



الاصلاح الزراعي

طبع في مطبعة مصر وجاء في ٩٧ صفحة من القطع الصغير هذا كتاب صغير في حجمه كبير في نفعه ، أصدره السيد صريت غالي من « جامعة النهضة القومية » في مصر ، وهم عصبة من رجال الاصلاح يتناولون في ابحاثهم نواحي شتى من مرافق الحياة المصرية ، ويعالجون طرائق اصلاحها في كتب يصدرونها على الناس هذا الكتاب الثمين .

والاصلاح الزراعي في مصر من أهم الموضوعات المتصلة بالمجتمع المصري .
فأراضي مصر الزراعية قد ضافت بسكانها ، وهي موزعة توزيعاً لا عدل فيه ،
ذلك بأن الملكية الكبيرة تبلغ ٣٧ ٪ من مجموع الأرض الصالحة للزراعة ،
أي ان ما ينيف على مليوني فدان مصري من تلك الأرض (وجملتها قرابة ستة
ملايين فدان^(١)) تتألف من أملاك كبيرة يملكها أفراد ليس عددهم بالكبير .
أما الأملاك الصغيرة التي يملكها الفلاحون ولا يزيد واحدتها على خمسة فدادين
فمساحتها دون مليوني فدان .

وقد نشأ عن ازدياد سكان القطر ضرورة ملحة لاصلاح زراعي يتناول ملكية
الأرض وإيجارها والعمل فيها ، وهي الموضوعات الثلاثة التي عالجها المؤلف في كتابه .
وفي الموضوع الأول يرى تقييد الملكية الكبيرة بأن يكون الحد الأعلى
لها مائة فدان مصري ، فلا يجوز للشخص الواحد ان يبتاع أكثر منها . ولبس
من رأي المؤلف ان تعتمد الحكومة الى شراء الأملاك الكبيرة الحاضرة جبراً ،
وبيعها من الفلاحين على أقساط (وهو ما تم في بعض البلاد الأوربية) ، بل من
رأيه ان تترك هذه الأملاك لأصحابها ، فتتلاشى مع الزمن بانتقالها الى الورثاء ،
مادام كل شخص يملك ملكاً كبيراً يكون بحكم القانون المقترح غير قادر
على تزويد مساحته بطريقة الفراغ أى الشراء .

ويرى المؤلف ان ثلاثة أفدنة مصرية تكفي لمعيشة فلاح وأسرته فتكون
هذه المساحة حداً أدنى للملكية الصغيرة . ومن رأيه إلغاء الأوقاف القدرية ،
وحصر أملاك الدولة وأملاك الشركات العقارية الزراعية على إيجاد الملكية الصغيرة ،
وإجمال القطع الجزأة على حسب الطريقة التي تتبعها مصلحة التأريف (المساحة)
في ديار الشام . وجميع هذه الآراء حسنة وتطبيقها غير صعب على من عندهم
مضاء في العزيمة .

أما ما نرى فيه صعوبة فهو رأيه في اتخاذ حد أعلى لأجرة الأرض وحد
أدنى لأجرة العامل الزراعي . والصعوبة منبثقة من كون ازدياد السكان في مصر

(١) الفدان المصري أربعة ذوغات نظامية وعشرون في المثلث من الدوم أي (٢٢٠٠) متر مربع .

يفوق كثيراً ازدياد الأرض التي تجهز للفلاحة في ذلك القطر الشقيق . ولهذا لا بد في هذا الأمر ان يعمل قانون المزاخمة عمله او ان يبقى قسم من الفلاحين بلا عمل . ومهما يكن الدواء الذي ورد في ذلك الكتاب الثمين مفيداً وناجماً وضرورياً فهو في نظرنا لا يحول دون حاجة الفلاح المصري في المستقبل الى مهجر يعمل فيه كالسودان المصري والعراق والجزيرة ، اللهم الا اذا تمكنت الحكومة المصرية من ايجاد ارض زراعية جديدة في القطر المصري نفسه .

وبعد انني انصح كل رجل يعنى بالشؤون الزراعية ان يقرأ هذا الكتاب النفيس .

م . س

❦

جغرافية شبه جزيرة العرب

تأليف السيد عمر رضا كحالة طبع في مطبعة الترقى بدمشق

سنة ١٣٦٤ - ١٩٤٥ | ص ٥٩٧ (القطع الكبير)

اعتمد الأستاذ كحالة في تأليف كتابه على مصادر شرقية وغربية منها القديم ومنها الحديث فدلّ على سعة نفس ودؤوب محمود . وقد قام بواجب نحو قراء العربية فأخرج لهم كتاباً جامعاً شتات المعلومات المتفرقة عن الجزيرة توسع في النقل وقد يورد النصوص يرمتها او يكثر من شرح اشياء في الحاشية ليست داخلية في الموضوع . وحبذا لو جرى قلم مؤلف هذه الجغرافية في كتابة مختصر لهذا الكتاب تحذف فيه الأسانيد أو أكثرها ويكتفي من النقول بما يتعلق بجغرافية الجزيرة مباشرة حتى يتناول الكتاب كل من 'يجب الانتفاع به في وقت قليل . وقد جوّد المؤلف في وضع فهرس لكتابه كفهرس البلدان والرجال والشعوب والقبائل والمذاهب والحكومات والكتب . فسهل بذلك على المراجعين فشكراً له على ما بذل من العناية بهذا التأليف الطريف .

محمد كرد علي

❦

م (٦)

ديوان الغزي (مخطوط)

هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان الغزي الشاعر المجيد المتوفى سنة ٥٣٤ هـ كان له في عصره شهرة ذائعة وصيت بعيد عرف أدباء تلك العصور مكانته واعترفوا بتفوقه وشهدوا ببراعته . وتنافلوا شعره في كثير من كتبهم واستشهد علماء البلاغة بالكثير من شعره ومعانيه البديعة وحسن صناعته الشعرية .

وترجمه معاصروه واهل قرنه واثنوا عليه واول هؤلاء على مارأبته الامام الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ في تاريخه الكبير ، والامام الأديب ابو البركات عبد الرحمن الأنباري في نزهة الألباء . والعماد الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ في خريدته وتلا هؤلاء ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ فقد نقل شيئاً من شعره في معجم البلدان وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ في تاريخه الكبير المعروف بالكامل . والحافظ محب الدين ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ في تاريخ بغداد وابن خلكان في وفيات الأعيان . وذكره من أهل القرن الثامن ابو الفدا في تاريخه المشهور والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية . ومن اهل القرن الحادي عشر ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب . والأديب محمد العرضي الحلبي في مجموعته الخطية .

ثناء الأدباء عليه وعلى شعره واستشهادهم به

قال الأنباري في النزهة : واما ابو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الغزي فكان أحد الفضلاء ومن يضرب به المثل في صنعة الشعر ومحاسن شعره كثيرة فمنها قوله :

ان يكرهوا نظم القريض فعذرهم باد كحاشية الرداء المعلم
هم محرمون عن المناقب والعلا والشعر طيب لا يحل لمحرّم
ومنها قوله :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة^(١) باب الدواعي والبواعث مغلق
لم يبق في الدنيا كريم يرتجي^(٢) منه النوال ولا مليح يعشق

(١) في ابن خلكان وفي ديوانه : قالوا هجرت الخ .

(٢) في ديوانه وأما كن متعددة هكذا : خلت الديار فلا كريم يرتجي

ومن العجائب أنه لا يشتري ويخان فيه مع الكساد ويسرق
ثم قال: وكان أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الطبري الأديب بقول غير
مرة في المذاكرة إذا استحسن شيئاً من شعر نفسه . هذا يشبه شعر الغزي .
وقال ابن خلكان في ترجمته : ذكره ابن النجار في تاريخ بغداد .
وابن عساكر في تاريخ دمشق . والعماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وقال انه
جانب البلاد وتغرب واكثر النقل والحركات وتغلغل في اقطار خراسان وكرمان
ولقي الناس ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي
يقول فيها ولقد ابداع فيه :

حملنا من الأيام ما لا نطقه كما حمل العظم الكسير العصائب
ومنها في قصر الليل وهو معنى لطيف :

وليل رجونا ان يدب عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شائبا
ثم قال وله في القصائد والمطولات كل بديع . ومن شعره وهو مما يستقلحه
الأدباء ويستظرفونه قوله من جملة قصيدة :

أشارة منك تكفيني واحسن ما رد السلام غداة البين بالعلم
حتى اذا ضاع منها القرط من دهش وانحل بالضم سلك العقد في الظلم
تبسمت فأضاء الليل فالتقطت حبات منتثر في ضوء منتظم

وقال أبو الفدا في حوادث سنة ٥٢٤ وفيها توفي إبراهيم بن عثمان الغزي .
ومولده سنة ٤٤١ وهو من الشعراء المجيدين فن قصائده المشهورة قصيدته التي
مدح فيها الترك التي أولها :

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا واجمل لحج تلاقينا موافيتا
ومنها : في فتية من جيوش الترك ماتركت للارعد كراتهم صوتاً ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وقال العماد الحنبلي في الشذرات في وفيات سنة ٥٢٤ وفيها أبو اسحاق الغزي
إبراهيم بن عثمان شاعر العصر وحامل لواء القريض وشعره كثير قاله (الذهبي)
في العبر . وقد أكثر الصلاح الصفدي من الاستشهاد بشعره في مواضع كثيرة

من شرحه للامية المعجم . وجاء في آخر معاهد التنقيص في شرح شواهد
التلخيص للعلامة عبد الرحيم العياشي في شرح قوله :
بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية . شامل
البيت من الطويل ونسب لأبي العلاء المعري ونسبه ابن فضل الله لأبي الطيب
المتنبي ولم أره في ديوان واحد منها والشاهد فيه حسن الانتباه . اهـ
اقول البيت ليس لواحد من هذين . وهو لصاحبنا الغزي وهو موجود
في ديوانه المخطوط الآتي ذكره . وهو آخر بيت من قصيدة يمدح بها
مكرم بن العلاء مطلعها :

قلوب الوري اشرا كهن الشمائل وشهب العلا افلا كهن الفضائل
على ان العياشي نفسه انشد للغزي بعد اسطر من هذا الباب قوله :
بقيت بقاء الدهر ما ذر شارق وغار جديد المكرمات وانجدا

ديوانه

في رحلتي الى اللاذقية من نحو ١٥ عاماً زرت تقيب اشرافها الفاضل الشيخ
محمد محاسن الأزهرى قاضي الموصل قديماً فن جملة ما وجدته في مكتبته القيمة
نسخة مخطوطة من معجم البلدان لياقوت . ونسخة مخطوطة من ديوان ابي اسحاق
الغزي وقيدت ذلك عندي . ومنذ ثلاث سنوات حضر أحد انجاله الى حلب
فأعربت له عن رغبتى في استنساخ هذا الديوان . فذكر ذلك لوالده فكان
المنعم المتفضل بإعارته وارساله مع ولده . وقد كتب قديماً على ظاهره بخطه
الحسن . استنسخه الفقير محمد بن خالد بن خليل الأزهرى الحسبى اللاذقي النائب
في مركز ولاية الموصل عفا الله تعالى عنهم في ٢٢ محرم سنة ١٣١٨ .
وتحت ذلك بخطه مانصه :

استنسخ ولم يقابل على الأصل لما فيه من التحريف والتصحيف . فعلى هذا
النسخة محررة في الموصل عن نسخة هناك . ويظهر انها منقولة عن النسخة التي
هي في مكتبة امين بك بن ايوب بك الجليلي وهي مكتبة خاصة ذكرها الدكتور

الفاضل داود الجلي في كتابه مخطوطات الموصل وقال ان من جملتها ديوان ابي اسحق الغزي (تام محرر سنة ١٩١٤) ولم يذكر غيرها في مكنتبات الموصل .

استغالي بهذا الديوان

رتبت هذا الديوان على حروف الأبيجدية ثم كلفت ناسخاً باستنساخه على مقتضى ترتيبه له على ما فيه من تحريف وتصحيف والقصد من ذلك ان تسهل على مقابلة ما اجدته من شعره في ترجمته المذكورة في تواريف متعددة وما اثير عليه في كتب الأدب كشرح الصلاح الصفدي للامية العجم فقد أكثر فيه من شعره وكجمعة مخطوطة عندي مخرومة الأول والآخر للأديب الشيخ محمد العرضي الحلبي فقد ذكر له سبع صحائف .

على ان الغزي وان كان قد تنويع في القرون الأخيرة فقد تلبه له في عصرنا هذا فاضلان جليلان الأول الشاعر الكبير السيد محمود سامي باشا البارودي المنوفى سنة ١٣٢٢ هـ فانه ذكر صاحبنا في مختاراته التي جمع فيها ما اختاره من شعر ثلاثين شاعراً من فحول الشعراء سردهم في خطبة كتابه . ذكر له في الجزء الأول في باب الأدب ١٢٥ بيتاً وفي الجزء الثالث في باب المديح ٧٨٥ بيتاً وفي الجزء الرابع ١٠٥ المجموع ١٠١٥ بيتاً .

الثاني صديقنا وزميلنا الفاضل الأديب الشيخ بهجة الأثري البغدادي فقد كتب عنه مقالة ضافية في مجلة الزهراء المصرية (ج ٤ م ٣) ربيع الثاني سنة ١٢٤٥ أي منذ تسعة عشر عاماً . قال في مطلعها منذ ثلاثة أعوام تقريباً اطلمت على ديوان صغير لهذا الشاعر فراقني شعره وعلقت منه في ذهني أبيات رقيقة لم يكده يحويها من صحيفة ذاكرتي كمر الغداة ومر العشي فكانت سبباً لاثارة البحث عن قائلها ونشر صحيفته بعد ان طوتها يد الدهر منذ أزمان . ثم بعد ترجمته التي نقلها عن ابن الأثير في كامله وعن ابن خلكان قال : اما نسخة الديوان التي بيدنا فهي سقيمة الخط كثيرة الغلط ولعل عمرها لم يبلغ قرناً واحداً . وهنا علق صديقنا الأديب الجليل السيد محب الدين الخطيب على هذه العبارة ما خلاصته : ونحن لا عجباً بهذا المقال واهتمامنا بهذا الموضوع بحثنا عن ديوان الغزي في القاهرة فوجدنا نسخة منه في خزنة علامة الجليل الأستاذ احمد تيمور باشا والنسخة كبت سنة ١٢٧٦ هـ . وصفحاتها ٢٢٣ واسطر الصحيفة ٢٥

ثم ذكر السيد الأثري خطبة النسخة البغدادية للناظم وقد جاء في آخرها :
وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره الف بيت . وكذلك يقول لنا ابن خلكان :
وله ديوان شعر اختاره لنفسه وذكر في خطبته انه الف بيت . والنسخة المصرية
كما ترى تبلغ ٥٥٠٠ بيت . وقد جاء في خطبة النسخة التي نقلنا عنها نسختنا .
وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره نبذة خمسة آلاف بيت انخ وهي في ١٦٥
صحيفة كل صحيفة ٣٣ سطراً فيكون المجموع نحو ٥٥٠٠ بيت كالنسخة المصرية .
فعلى هذا تكون كلمة خمسة قد سقطت من تاريخ ابن خلكان ومن النسخة البغدادية .
على ان السيد الأثري قال . وقد جد بنا الحرص على احصاء ابيات نسختنا
فاذا هي تنيف على (١٢٥٠) بيتاً اه ولعل الناظم او غيره اقتضب من الديوان
هذا المقدار وعلى هذه النسخة اطلع ابن خلكان وغيره وذكر ان ديوانه في
الف بيت ان لم تكن كلمة خمسة قد سقطت من تاريخه . والنسخة الموصلية التي
هي أم نسخة اللاذقية . والنسخة المصرية اتفقتا على ان ديوانه ازيد من خمسة آلاف
بيت . ثم أورد السيد الأثري في مقالته سبع صحائف من شعره . ثم قال وفي الجملة
فان جل هذا لديوان ان لم أقل كله درر وغرر تشهد للغزي بالبراعة في الصناعة ولو لم
يكن فيه سوى مأزجيناه بين يديك من المقاطيع السحرية والأبيات السائرة لكفى .
فما في هذه المقالة من شعره وما في مجموعة الأديب العرضي الحلبي وما في
مختارات البارودي وما في ترجمته في عدة مواضع وما في شرح لامية العجم
وما في المعجم اياقوت كل ذلك قابله على النسخة التي استنسختها وصححته بقدر الامكان
وذلك بقرب من نحو نصف الديوان . ووجدت له فيما تقدم احدى وثلاثين بيتاً
لا وجود لها في نسختنا فأثبتها في الآخر مع العزو الى الكتاب الذي وجدت فيه .
وفي دار الكتب المصرية نسخة تحت رقم (١٢٢) في قسم الأدب بقطع الربع في
(١٢١) ورقة بخط معتدل الى الجودة أقرب وعلى حواشيه تفسيرات وتوضيحات
تفيد أن قارئه أو مالكه كان على علم باللغة والشعر . وخط الديوان واحد من
أوله الى آخره بخط عمر بن محمد مشعل العلوي فرغ منه سنة ١٠٩٩
ولاعادة النظر فيما صححته وتصحيح الباقي نحتاج الى النسخة المصرية ليكون
هذا الديوان صالحاً للنشر وليستفاد من غرره ودرره .

آراء وأنباء

انتخاب عضو عامل

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ الدكتور حسني سبيع رئيس الجامعة السورية عضواً عاملاً في المجمع مكان المرحوم الأستاذ أديب التقي . وقد صدر بذلك مرسوم جمهوري رقم ٨١ مؤرخ في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٦



القنبلة فارسية الأصل

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي في مجلدها العشرين ص ٣١٠ و ٤٠٧ مقالة للعلامة عيد القادر المغربي عنوانها (قنبرة ؟ قنبلة ؟) قصد فيها البحث عن منشأ هاتين الكلمتين وانتهى في بحثه الى انها فرنسية الأصل من كانوبور محرفة ومقلوبة من بور و كانون Bourre de canon حسب الاضافة التركيبية فأردت أن أبين منشأ كلمة قنبلة أو قنبرة الحقيقي ، موثقاً ان الأستاذ لا بد أن يسر بالأبحاث التي تؤدي الى الحقائق اللغوية وان جاءت مخالفة لرأيه . وخاصة بعد أن أظهر في مقالته انه غير متأكد مما ذهب اليه ، فقد قال في ص ٣١١ : « فالقنبلة اذن سبقت اسمها على جهالة أصلها وغموض نسبها متمكنة في السفننا . الخ » وقال في ص ٤١٥ : « ذلك ان نبتي متمسكين به [بما ذهب اليه] مادامنا لم نجد قولاً أقوى ، ونقللاً أرضى . حتى اذا وجدناه جنحنا اليه وعولنا عليه » . فأبادر الى القول ان اصل خمبرة وخنبرة وقومبارة وقنبرة وقنبلة هو (خمبارة) الفارسية . وهذه مركبة من كلمتين : (خم) بضم الخاء المعجمة واسكان الميم ، (وبارة) . فن معاني خم الجب وهو الزير والخاوية . وكلمة حب نفسها محرفة من خم ، أو من كلمة (خمب) بضم الخاء واسكان الميم والباء وهو الزير

الكبير ، والذين أخذها العراقيون من الفرس بحكم المخالطة والجوار وحرفوها الى حب . ومن معاني خم أيضاً نقارة كبيرة من شبه كانوا يضرّبونها في الحروب . وأما بارة فمن معانيها السور وجدار القلعة . فيكون معنى خبارة حب السور ، أو قل نقارة السور ، سموها بهذا الاسم تشبيهاً بالحب أو بالنقارة لأنها مجوفة وأضافوها الى السور لأنها ترمى من على الأسوار للدفاع عن القلاع والمدن أو تضرب بها الأسوار والقلاع لهدمها . أو لأنها عند انفلاقها يسمع منها صوت كصوت النقارة الكبيرة عند ضربها . وأرجح أنها مأخوذة من المعنى الأول أي من معنى الحب . وظهر لي ان الفرس أنفسهم خففوا كلمة خبارة فقالوا (خمبرة) وأرادوا بها الزير الصغير وقذيفة المدفع هذه المجوفة هكذا وجدت في الترجمة التركية للمعجم الفارسي المسمى (برهان قاطع) . ولا أرى حاجة الى بيان انتقال كلمة الخبارة الى ان صارت قبلة فهو مفهوم من كلام الأستاذ نفسه . وأقرب الكلمات الى الأصل الخمبرة .

كانت الخمبرة تصنع من حديد ويلاً جوفها من فوهة فيها بالبارود وبقطع حديد وكرات صغيرة من الحجارة وما أشبه ، وكانت توضع لها فتيلة وتقذف بمدفع هاون . وكانت ألقاها من استعمالها السحق والهدم بجرمها ونشر مرميات كثيرة عند انفجارها واحداث الحريق من اشتعال بارودها . ولذلك ورد في كلام الأمير حيدر الشهابي الذي نقله الأستاذ المغربي قوله : « وقد ضرب من عكا قنبرة وفقعت ثلاث عشرة كلة » .

وأما السكة فكانت كرة مصمتة ، وكانت تصنع من الحجارة ، ثم صنعت من حديد أيضاً . وكانت تقذف بمدفع أملس الداخل والغاية منها الهدم فقط . حتى اذا ما اخترعت المدافع المحززة الداخل بطل استعمالها .

نرى في كلام حيدر الشهابي قوله : « وصارت القناير والكل تنساقط على القلعة مثل المطر » وقوله : « في ليلة واحدة انجاب اثني عشر الف قطعة من كال وقناير » وقوله : « وجد ابراهيم باشا في يافا كال ٧٠٠٠ ، قناير ٢٠٠ » ومثله قول

الخوارجا يقولوا التبرك : « الكلال والقنابر » و « اندفقت عليهم الكلال والقنابر » .
 فلو كانت الكلمة والقنبرة شيئاً واحداً لاكتفى هذان المؤرخان بأحد الاسمين .
 فكان على الباحث التفريق بينهما .

وعلى ذكر الكلال اقول جاء في مقالة الأستاذ أنه يرى ان اسم كلمة أتى من
 مشابهتها الكلمة التي تلعب بها الصبيان ، وان بعضهم يراها مأخوذة من كلمة
 الخنفة من كلاله . وقال آخر انها محرفة من كلمة كرة العربية . اقول ان كلمة
 كلمة ، سواء فيها الكرة الصغيرة التي يلعب بها الصبيان وقذيفة المدفع المصغرة ،
 هي من (جَلَّة) الفارسية بضم الجيم وتشديد اللام وفتحها واظهار الماء ، ومعناها
 كرة . ومنها الجلاهي . وكانها جمع جلة . جاء في القاموس : الجلاهي كعلايط
 البندق الذي يرمى به وأصله بالفارسية جلة وهي كبة غزل . ١٠ هـ . وأنا لا أشك
 في أن كرة ، التي نلظنها عربية ، هي أيضاً محرفة ومعربة من جله .

أما كلمة المدفع فيقابلها بالفرنسية boulet ، وأما boule فتطلق على كل جسم
 كروي . والخبيرة هي ال bombe . وأما القذيفة فيقابلها projectile وتطلق على
 كل ما يقذف ، سواء أذف باليد أم بالمقلع أم بالقوس أم بالبندقية أم بالمدفع
 أم بالرشاش أم بغيرها . فيجب تخصيص اسم لكل نوع من القذائف على حدة .
 والطلقة أو الاطلاقة يقابلها coup ، و bourre هي الدكة .

ذكر الأستاذ انه لم يجد كلمة قنبلة في المعاجم الفارسية . هذا شيء طبعي ،
 لأن قنبلة ليست فارسية ولو أنها فارسية الأصل . فلو فنش عن كلمة خمبرة
 أو خمبرة لوجدناها .

وقال انه سأل أحد أفاضل الايرانيين هل كلمة قنبلة فارسية ، فاجاب كلا
 ليست فارسية . حق الايراني ان يجيب بالنفي على هذا السؤال . لكن لو كان
 سأله : ماذا تسمون بالفارسية قذيفة المدفع المحوطة القديمة التي كانت تصنع من
 حديد وتحشى بالبارود وقطع الحديد وصغار الكرات ؟ لأجاب : خمبرة .

كل ما استفدناه من كلام الدكتور الفاضل أنه أعرب عن رأيه الشخصي في ان كلمة (خمبرة) فارسية وأن أصلها (خمبرة): (خم) بمعنى خائية و (بارة) بمعنى سور القلعة . فالخمبرة معناها خائية السور . وقد أطلقها الإيرانيون على قذيفة المدفع . واتفق لي ان اجتمعت بالدكتور حشمت معين الإيراني فسألته عن فارسية خمبرة : فقال إننا معشر الإيرانيين نستعملها منذ نحو قرنين في الشعر والنثر ولا نعلم من أية لغة جاءت ولا ما هو أصلها بالتحقيق فكان يحسن بالدكتور الجلي أن ينقل إلينا رأي علماء ايران في هذه الكلمة ولا يكتبني بقوله سموها . وما نقله عن (برهان قاطع) إنما أفادنا ان (خمبرة) تطلق على الزير الصغير وعلى قذيفة المدفع وقد سككت عن بيان أصلها . ولقائل ان يقول إن سكوته يشعر بأنها فارسية مادام معجمه إنما وضع لتدوين الكلمات الفارسية . وزد هذا بأن شمس الدين سامي ذكر في معجمه كلمة (خمبرة) ولم يشير الى أنها فارسية بمرض (فا) ولا عربية بمرض (ع) فدل على أنها تركية لأن معجمه إنما دَوَّن فيه الكلمات التركية . وربما ذكرت المعاجم العربية أيضاً كلمة (قنبرة) التي هي أخت (خمبرة) وفسرتها بقذيفة المدفع ولم تشير الى أصلها بل ان بعض كتاب العرب يدعي بأن قنبلة عربية مأخوذة من معنى جماعة الخيل . وان قنبرة عربية أيضاً مأخوذة من اسم الطائر . فاللغات الثلاث إذن تدعيها باديء بدء . واذا حققت مع أربابها طالباً الدليل على قولهم انتهى الجدل مع كل منهم الى أنهم يعدونها بين الفاظ لغتهم لكونها دخيلة مستعملة في منشورهم ومنظومهم . أما أصلها فلم يقصد له أحد على ما نعلم كما تصدينا نحن بتفصيل . سهب شرحنا فيه الظروف والمنااسبات التاريخية التي نشأت في خلالها كلمات (قنبلة وقنبرة وخمبرة) وباليات زميلنا الدكتور أشار الى كيفية نشوء (خمبرة) في لغة الفرس وتولدها على ألسنتهم وأسنه اقلامهم . وفي أي عصر نبتت . وعلى أية طريقة وقع التوليد فيها . وما هي الظروف التي جعلت علماء ايران يشتقون ويتقوّنون . وضباطهم وجنودهم يلفظون ويستعملون . مع ان الذين أخذنا عنهم القناير وصنع القناير ليسوا من الترك ولا الفرس ولا العرب . وقد حملوا إلينا القنبلة أو (القنبرة) وحملوا معها اسمها بلغتهم فتلقفتها منهم . وأفرغه كل منا — ترك وعرب وفرس — في قوالب لغته . وجرس لهجته . وما ذكره الدكتور رأي من جملة الآراء في أصل (خمبرة وقنبرة) ليس هو بالقول الفصل . وإن دل على سعة العلم والفضل . المغربي

تعليقات على مقال (دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها)

أخذ الدكتور الفاضل أسعد طلس ينشر مقاله الممتع « دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها » الذي أشبعه بحثاً وتدقيقاً في مجلة المجمع العلمي العربي وقد أجاد وأفاد وقد وقعتُ أثناء مطالعتي على بعض أمور تحتاج إلى التعليق على هذا البحث النفيس فبحثت بهذه الملاحظات خدمةً للعلم والأدب وإتماماً للعمل الجليل الذي قام به فأقول:

١ - خزانة الكتب التي بصاحبة سلوان

جاء في المجلة (م ٢ ص ٢٣٩) أن في صاحبة سلوان خزانة غنية يربو عدد كتبها على أربعة آلاف قد يكون بينها مخطوطات قيمة وإن صاحب تلك الخزانة هو الشيخ محمود اللحام .

ويظهر أن الدكتور الذي لم يُنتج له زيارة الخزانة ولا الاطلاع على كتبها اعتمد رواية بعض الذين أخطأوا في تحقيق اسم صاحب الخزانة فنقلها كما تلقاها عنهم ولا لوم عليه ولا تريب في ذلك . أما الخزانة فهي للشيخ محمد جمعة النجار واعظ السجن المركزي في بيت المقدس وقراها وهي تشمل على المقدار المذكور إلا أنها تقتصر على الكتب المطبوعة وليس فيها شيء من المخطوطات كما ذكر لي صاحبها ذلك .

٢ - دار كتب المسجد الأقصى وربعة سلطان المغرب

وصف الدكتور الربعة الشريفة التي كان خطهاً يمينه علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المريني ملك المغرب سنة ٧٤٥ في ثلاثين جزءاً ويظهر أن الدكتور لم يطلع على أن خمسة أجزاء من هذه الربعة المكتوبة في الرق قد فقدت فوضع مكانها خمسة أجزاء كتبت في ورقٍ صقيل بالحروف المغربية كأصلها وكان فقدانها قبل ١٤٥ سنة تقريباً كما أن جزءاً من الأجزاء الأصلية قد سُرق من المسجد الأقصى في السنين الأخيرة وأخرج من فلسطين وقد ذهبت مساعي المجلس الاسلامي الأعلى وحكومة فلسطين في سبيل استرداده عبثاً في فلسطين ومصر .

وهذه الربعة كان مدادها الذي كتبت فيه من قثيت المسك ودهن الورد وربما أضيف إليها أحياناً الزعفران الشعري وهي ثلاثة ثلاث ربعات شريفة كتبها ذلك

الملك أولها ليت الله الحرام وثانيتهما لمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام والثالثة للمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله .

وقد وصفت هذه الربعة قبل مرفقة الجزء الآخر في مجلة الفتح في المجلد الخامس (ص ٥٩٠ و ٥٩١ ومن ص ٦٠٥ الى ص ٦٠٧) وأتيت في هاتين المقالتين على اعيان الوقف التي وقفها الملك على قراءة ربعته الشريفة في المسجد الأقصى واستطردت الى ان الريعتين اللتين كتبنا برسم مكة والمدينة لم نعلم عن وجودهما فيها .

٣ - صاحب مختار الصحاح

ذكر الدكتور في (م ٢٠ ص ٣٤٧) كتاب جامع الأصول لأحاديث الرسول من مخطوطات دار الكتب الخالدية وقال عنه انه كتب على هامش الجزء التاسع منه ان محمد بن أبي بكر الرازي صاحب مختار الصحاح المتوفى سنة ٧٢٠ (كذا) قد قرأه على الصدر القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ وكانت قرأته عليه سنة ٦٦٦ . ان صاحب كشف الظنون عندما تطرّق الى ذكر مختار الصحاح قال ان صاحبه توفي بعد سنة ٧٦٠ وأظن ان الدكتور كتبها كذلك سنة ٧٦٠ الا ان منضد الحروف أخطأ فجعلها ٧٢٠ كما تقدم وحصل ذلك الخطأ . الا ان تاريخ وفاة صاحب مختار الصحاح كانت بعد سنة ٦٦٦ التي قرأ كتابه على الصدر القونوي فيها وقد تكون امتدت حياته الى ما بعد سنة ٦٩١ حيث ألّف كتاب روضة الفصاحة برسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الأرتقي الذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين سنة ٦٩١ اذ لا يُعقل ان يقرأ كتابه على الصدر القونوي ثم يعيش الى سنة ٧٦٠ وقد كنتُ كتبتُ مقالةً مسهبّة عن صاحب مختار الصحاح في مجلة الجمع « م ٨ من ص ٦٤٦ الى ٦٦٥ »

٤ - ابن الهائم

ذكر الدكتور ان كتاب « تعاليق على الخصائص النبوية » في الخالدية أيضاً هو من تأليف ابي العباس الشهاب احمد بن محمد بن الهائم الحاسب الفرضي (م ٢٠ ص ٣٤٧) « هذا المؤلف دفين بيت المقدس الذي كان اختار الإقامة فيه في أواخر أيام حياته

وهو يرقد في مقبرة مأمن الله التي تضم المئات من عظماء المسلمين وعلمائهم بالقرب من مغارة شهداء الحروب الصليبية وعدتهم سبعون ألفاً وبهذه المناسبة أشير الى ان نسخة مخطوطة من كتاب «المناسخة في عمل الشبّاك» الذي اخترعه واستخرجه في علم الفرائض في خزانة كتيبي . ويرجع ان هذين المخطوطين ألفهما ابن الهائم في جوار المسجد الأقصى حيث كان يقيم في دار هداية الله .

٥ - ابن زوج ابني عذبية

قال الدكتور ان كتاب قصص الأنبياء لأحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي من مخطوطات دار الكتب الخالدية كتب على صدره أن احمد هذا شهر بابن أبي عدسة ومع ان عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس والخليل يقول عنه ابن زوجة أبي عذبية فان زميلنا الأستاذ كاظم الدجيلي قال عنه ابن أبي عدسة في مجلة الهلال (م ٢٨ ص ٦١٧) بصدد نسخة التاريخ المطول المحفوظ في مكتبة آل جميل ببغداد أقول ان زميلنا الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ذكره أيضاً باسم ابن ابني عدسة نقلاً عما جاء في النسخة المحفوظة في مكتبة آل الحسيني بدمشق (م ٢٨ ص ٩٢٦ من مجلة الهلال نفسها) .

وقد كنتُ علقت على المقالين المذكورين في مجلة الهلال أيضاً (م ٣٠ ص ٨٦٢) ما يلي: «قصص الأنبياء عليهم السلام في مجلد ضخيم كتب بأوله : «جمع كاتبه الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد القدسي الشافعي الشهير بابن أبي عدسة» ولكنه استوقف نظري ان المداد الذي كتب به آخر الكلمة الأخيرة كان يظهر عليه الحدوث بالنسبة الى الكلمات الأولى التي يغلب عليها القدم فاشتبهت في الأمر وقرأت ما كتب بآخر الكتاب فاذا هو كما يأتي بالحرف :

«انتهى على يد مؤلفه الفقير الى رحمة ربه الفقيه احمد بن محمد بن عمر القدسي الشافعي الشهير بابن ابني عدسة (بدون نقط) لطف الله تعالى به آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

ولشد ما كان دهشي عندما أنعمت النظر فوجدت ان الكلمة التي بدون إجماع قد أزيلت نقطها بآلة حادة كالومى لم يترك لها إلا فتحة على الحرف الذي

قبل الهاء مما يبعث على الظن أن الكلمة عديّة أو عذبيّة أو ما شئت غير عدسة .
 وذكرت في هذا التعليق أنني وقعتُ في الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل
 لعبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين الحنبلي على ما اطلع عليه الدكتور طلس من النسبة الصحيحة .
 ولعل السبب الذي حمل من صحيح النسبة من الناس على ذلك العمل هو
 ما أورده صاحب الأنس الجليل من أن المؤلف أورد في تاريخه المطول والآخر
 المختصر أشياء فاحشة من ثلب أعراض الناس فأعده بعض المطلعين عليه ضناً
 بكرامات من تناولهم المؤلف بالطنم والتشنيع . ويقول صاحب الأنس أن التاريخ
 المطول لم يظهر بعد وفاته كما أن التاريخ المختصر لم يبق منه إلا بعض كراريس متفرقة .

٦ - محمد بن نحر الاسلام الخيري

أورد الدكتور طلس بين مخطوطات دار الكتب الخالدية (المجمع م ٢١ ص ٥٤)
 رسالة «الشهاب القابس في البيع والكنائس» لمحمد بن نحر الاسلام الخيري
 المكتوبة سنة ١٠٨٢ وقال انه لم يهتد الي مؤلفها .

أقول ان محمداً المذكور كان امام قبة الصخرة المشرفة في المسجد الأقصى .
 وله رسالة أخرى سماها «سؤال وجواب عن بيت المقدس» أتم تأليفها في أواخر
 جمادى الأولى سنة ١٠٨٢ . وهذه الرسالة في عداد المجموعة السابعة والأربعين
 من مجاميع الخالدية . وقد نسخها محمد فتخ الله الديري في ١٤ شعبان سنة ١٠٩٠
 اما موضوع هذه الرسالة فهو سقف المكان الواقع بقرية بيت لحم والذي بداخله
 المغارة التي يقال ان بها مولد سيدنا عيسى عليه السلام واعادة بنائه بالخشب والرصاص
 كما كان في السابق وترميم بعض حوائطه وانه يحرم التعرض للنصارى في ذلك .
 ونسبة محمد الي الخيري تدل على انه ابن خير الدين الرمي الشهير المتوفى
 سنة ١٠٨١ وهو من مفاخر الاسلام حقاً .

وبعد فاني أشكر للدكتور اهتمامه وجهوده في بحث خزائن الكتب الفلسطينية
 وأخصه بالشكر على حسن ظنه بهذا العاجز مما يدل على طيب أرومة وحسن خلق
 وجزاه الله عن العلم خير الجزاء .

عبد الله خلصي

السعينة والفند

رفاق النعال طيب حجاتهم يحيون بالريحان يوم السبابس
والسبابس يوم السعانيين عند النصارى والعامّة تلفظها «الشعانيين» والسبابس جمع
سبب بمعنى المفازة واليهود عيد المظال يخرجون به الى البراري فينصبون فيها مظال .
والسعانيين جمع سعينة وهي الزفن أو مطلق المظلة وما زال المسيحيون يقرنون يوم
السبابس بالمطر ومن أمثالهم الشائعة «السعينة دون مطر كالعروس دون جلوة» .
وكانت السعانيين عند النصارى سعفاً من الخيل يحتفلون بها تذكاراً لدخول
المسيح الى بيت المقدس قبيل الفصح عندما استقبلته الجماهير بسعف الخيل ثم تطورت
بانتشار المسيحية فالتجذت الرياحين وأغصان مختلف الاشجار عند فقدان الخيل ولكن
سعف الخيل ما تزال واجبة اذا وجدت ولعل أبرز أشكلها أيام النابغة الرياحين .
وتفنن المسيحيون في صنع السعانيين وما يزالون يتفننون وقد يجمعون بين الخيل
والرياحين وأغصان الشجر وغيرها مما لا يزال متعة للناظر المتأمل .
ومن التقاليد المريعة عندهم ان السعانيين تصنع شفاعاً لحفظ حياة الأطفال
والأولاد ولذلك كثيراً ما ينذر المسيحيون شمعات كبيرة تبلغ طول الطفل
أو الولد يضمونها الى السعينة وكثيراً ما تزيد على المتر طولاً .
وإذا كانت السعينة في أصلها غصناً أو فنناً أو فنداً وكلها بمعنى الفص فن
المعقول المقنع أن تسمى الشمعة الكبيرة التي تضم الى السعينة فنداً .
أما استعمال أهل طرابلس للفند بمعنى الحزمة من الشمع فهو غير خاص بهم
بل يستعمله عدد كبير من نصارى جبل لبنان «وهو ليس سهواً وقع فيه الأستاذ
المصري لبعد عهده فيه» فان من السعانيين التي ما يزال النصارى يستعملونها الى
اليوم نوعاً يزين بعدد من الشموع الصغيرة تحيط بالشمعة الكبيرة أو توضع
وحدها فكان سعف الخيل تحولت فنوداً عند عدم وجودها وليس في كل بلدان
النصارى نخيل فسميت السعينة غصناً أو فنداً ثم قرنت بالشمعة الكبيرة يختلف
طولها باختلاف الولد الذي تصنع باسمه فسميت الشمعة فنداً وزين بعض السعانيين
بحزمة من الشموع فأطلق على هذه الحزمة فند الشمع .

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد الحادى والعشرين

الصفحة

- ٩٧ القول في اتكالنا للأستاذ محمد كرد علي .
 ١٠٧ ابو الهذيل العلاف للدكتور جميل صليبا .
 ١١٨ اقرب الموارد للأستاذ احمد رضا .
 ١٢٦ المقصورة التاجية محمد احمد دهمان .
 ١٣٣ الملك الظاهر يبرس عبد القادر المغربي .
 ١٤١ رأس يحيى وذكريا محمد راغب الطباخ .
 ١٤٩ ضرب الحوطة على جميع الفوطة لابن طولون للدكتور اسعد طلس .

مخطوطات ومطبوعات

- ١٦٢ الدرر الفاخرة بآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة للمرحوم الاستاذ عبد القادر المبارك
 ١٦٣ نظام جديد وحياء جديدة، الاداة الحكومية للأستاذ عارف السكدي .
 ١٦٧ العمل لمصر، تحت دولة والحياء محمد .
 ١٧١ سياسة الغد، برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي .
 ١٧٣ تاريخ المشايخ البازجيين واصهارهم .
 ١٧٤ وادي الفرات ومشروع سد الهندية .
 ١٧٥ الاصلاح الزراعي .
 ١٧٧ جغرافية شبه جزيرة العرب .
 ١٧٨ ديوان الغزي (مخطوط) .

آراء وأنباء

- ٨٣ انتخاب عضو عامل .
 ١٨٣ القنبلة فارسية الأصل .
 ١٨٦ تعليق .
 ١٨٧ تعليقات على مقال (دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها) .
 ١٩١ السعينة والفند .